الكتـاب السابع

الفصل الأول

1- بعد وصف إيبيريا، والقبائل السلتية والإيطالية مع الجزر المجاورة، ينبغي أن نتحدّث عن أجزاء أوروبا الأخرى التي تليها بالترتيب، وفق الطريقة التي كنا قد اعتمدناها. والبلدان التي تبقت هي البلدان الواقعة وراء الرين شرقاً حتّى تانايس وثغر ميوتيدا، وكذلك كلّ الفضاء الذي يفصله إيستر، بين البحر الأدرياتيكي والأراضي الواقعة على الجانب الأيسر من بحر البونتس وإلى الجنوب وصولاً إلى اليونان وبروبونتيدا. فهذا النهر يفصل كلّ الأراضي المذكورة إلى شطرين متساويين تقريباً. وهذا النهر الأكبر في أوروبا يجري في الأول جنوباً، ثمّ ينعطف بحدة من الغرب نحو الشرق إلى البونتس. وينبع إيستر من الأطراف الغربية لجرمانيا، لكنّه على مقربة من منخفض البحر الأدرياتيكي (على مسافة تقارب 1000 مرحلة منه)، ينهي إيستر جريانه عند البونتس غير بعيد عن تيراس والبوريسفين، منعطفاً قليلاً نحو الشمال. وعلى هذا النحو، تقع إلى الشمال من إيستر المناطق المتوضّعة وراء الرين وسلتيا. وهذه الأراضي، هي أراضي القبائل الغلاطية والجرمانية وصولاً إلى أراضي الباستارنيين ووالتيريجينتيين ونهر البوريسفن، وكذلك كلّ الفضاء الممتدّ بين هذا النهر ونهر تانايس وثغر ميوتيدا الذي يمتدّ داخل البلاد حتّى المحيط[1] ويشاطئ بحر البونتس. وإلى الجنوب من إيستر تستوطن القبائل الإيلليرية والتراقية وكل الشعوب الأخرى المتخالطة معها، من سلتيين وغيرهم وصولاً إلى اليونان. وسأصف أولاً المناطق الواقعة وراء إيستر، لأنّ وصفها أسهل بكثير من وصف تلك التي تقع على الجهة الأخرى من النهر.

2- تتّجه المناطق الواقعة وراء الرين نحو الشرق، ويقطن الجرمان تلك التي تقع وراء أراضي السلت. وقلما يتميّز هؤلاء الأخيرون عن القبيلة السلتية: أكثر وحشية، وأطول قامة، وشعر فاتح أكثر؛ أمّا فيما تبقى فهم متشابهون: من حيث البنية الجسدية

obeikandi.com

ونمط العيش والطباع، هم كما كنت قد وصفت السلت. ولهذا دعاهم الرومان، كما أظنّ، «جرماناً»، وكأني بهم يرغبون بأن يشيروا إلى أنهم غلاطيون «حقيقيون». فكلمة germani تعني بلغة الرومان «أصيلاً، حقيقياً».

3- إن أوّل أجزاء هذه البلاد، هي المناطق الواقعة عند الرين، من منابعه حتّى مصبّه. وامتداد منطقة النهر تساوي تقريباً عرض البلاد في شطرها الغربي. وقد نقل الرومان فريقاً من قبائل منطقة النهر هذه إلى سلتيا، ولم يتسن للآخرين أن ينتقلوا من قبل إلى عمق البلاد، كالمارسيين مثلاً. ولم يبق سوى بعضهم فقط، بمن فيهم فريق من السوغامبريين[2]. وتلي القبائل التي تقطن على مجرى الرين، قبائل أخرى بين نهر الرين ونهر ألبيس؛ ويجري هذا الأخير تقريباً بموازاة الأول نحو المحيط، مخترقاً أراضيَ ليست أقل من تلك التي يخترقها الرين. وثمّة بين هذين النهرين أنهار أخرى صالحة للملاحة (مثلاً، نهر أماسيا حيث انتصر دروز على البروكتيريين في معركة بالسفن)، تجري بدورها من الجنوب إلى الشمال وإلى المحيط. ويكمن الأمر هنا في أن هذه البلاد صاعدة نحو الجنوب وتشكّل سلسلة جبلية تتّصل بالألب وتتمدد نحو الشرق لتبدو كأنها تشكّل شطراً من الألب. وفعلاً عد بعضهم هذه السلسلة جزءاً من الألب. أولاً، بسبب موقعها الذي أشرنا إليه آنفاً، ثانياً تكسوها غابات شجرها من الفصيلة نفسها. ولكنّ القمم الجبلية في هذه البلاد لا تبلغ الارتفاع نفسه. وتقع هنا أيضاً الغابة الهركانية، وتقطن قبائل السويفيين التي يعيش فريق منهم في الغابة نفسها، قبائل الكوادويين[3] مثلاً؛ ويقع في أرضهم البويهم[4]، وهو المقرّ الملكي لمارابود، إلى حيث نقل مختلف القبائل الأخرى إضافة إلى أبناء قبيلته الماركومانيين. فبعد عودته من روما، عيّن هذا الشخص العادي [فيما مضى] حاكماً أعلى للقبيلة. ففي شبابه عاش مارابود في روما مستفيداً من عطف أغسطس، وبعد أن عاد إلى وطنه ظفر بالسلطة وأخضع لسلطته إضافة إلى اللوغيين (قبيلة كبيرة)، قبائل الزوميين والبوتونوفيين، والموغيلونيين، والسابين، وكذلك السيمنونيين (قبيلة سويفية كبيرة). ولكنّ فريقاً من القبائل السويفية يعيش في قلب الغابة، كما ذكرت سابقاً، وفريق آخر يعيش خارجها، على الحدود مع الجيتيين. وعلى هذا النحو فإن السويفيين، هم القبيلة الأكبر، لأنّ أراضيها تمتدّ من الرين إلى الألبيس؛ بل هناك فريق منهم يعيش على الجانب الآخر من الألبيس، كالجرموندوريين واللانغوبارديين مثلاً؛ وقد طرد هؤلاء كلّهم الآن وهربوا إلى الضفّة الأخرى من النهر. والسمة المشتركة التي تميّز قبائل هذه المنطقة، هي قدرتها على الانتقال بسهولة لأنّ نمط عيشها بسيط ولا تمارس العمل الزراعي، بل لا تختزن أي احتياطات [من المؤن]، وتعيش في أكواخ ذات طابع مؤقت.

obeikandi.com

ومثلهم مثل البدو الرحل، يحصل هؤلاء على مواردهم الغذائية من قطعانهم، ويضعون مقتنياتهم على عربات نقل ويرحلون مع قطعانهم إلى حيث يشاؤون. لكن هناك قبائل جرمانية أخرى أكثر فقراً كالهيروسكيين، والخاتيين، والهامابريفيين، والخاتواريين؛ وعلى المحيط يعيش السوغامبريون، والهابيون، والبروكتيريون، والقمريون، وكذلك الكاواكيون، والكاولكيون، والكامبسيانيون وقبائل كثيرة أخرى. وباتجاه واحد يجري مع أماسيا، نهر ويسورغيوس، ونهر لوبيا؛ ويقع هذا الأخير على بعد يقارب 600 مرحلة عن الرين، فيجري عبر منطقة البروكتيريين الأصغر. وهناك في جرمانيا أيضاً نهر سالا؛ وبين هذا النهر ونهر الرين قاد دروز جرمانيكوس[5] حربه الظافرة، لكنّه سقط فيها قتيلاً. لقد أخضع جرمانيكوس أكثر القبائل هنا، كما أخضع الجزر الساحلية أيضاً، بما فيها بورهانيوس[6] التي استولوا عليها بعد حصار.

4- وقد اشتهرت هذه القبائل في الحرب مع الرومان التي أفضت في نهاية المطاف إلى خضوعها لهم. لكنّها ثارت ثانية أو هجرت مستوطناتها. ونحن كان يمكننا أن نحصل على معطيات أفضل عنها، لو أن أغسطس أتاح لقادة قواته عبور الألبيس لملاحقة الأعداء الذين عبروا إلى هناك. ولكنّ أغسطس أمل في أن يخوض الحرب على مقربة وبنجاح أكبر، إذا ما امتنع عن مهاجمة القبائل المسالمة التي تقطن وراء الألبيس، وبذلك لا يحرضها على أن تتحد في حلف واحد معاد له. لقد بدأ السوغامبريون هذه الحرب، ويعيش هؤلاء على مقربة من الرين، وكان زعيمهم ميلون. ومنذ ذلك الوقت أخذت شتّى القبائل الجرمانية في مختلف الأرجاء تأتي لكي تحلّ محلّها، فتارة تغدو جبّارة، وطوراً تخسر السلطة فتعلن الانتفاضة من جديد وتغدر برهائنها الذين أودعتهم ضمانة لوفائها بالتزاماتها، وتحنث بالقسم الذي أقسمته. إن عدم الثقة مفيد جدّاً وضروري للتعامل مع هذه القبائل، لأنّ أولئك الذي منحوا الثقة تسبّبوا بأذى عظيم جدّاً، كما فعل الكيروسكيون والقبائل الخاضعة لسلطانهم، إذ هلكت في مناطقهم ثلاثة أفواج رومانية كان يقودها كوينتيليوس فاروم[7]، بعد أن غدروا بها وحاصروها. لكنّهم عوقبوا على غدرهم هذا، وأقاموا لجرمانيكوس الشاب موكب نصر رائع اقتيد فيه كبار الأرسستقراطيين من رجال ونساء أسرى: سيغيمونت ابن سيجيستوس قائد الكيروسكيين وأخته توسنيلدا، وزوجة أرمينيوس الذي قاد أثناء انتهاك الاتفاق، القوات الكيروسكية ضدّ كوينتيليوس فاروس، ولا يزال حتّى الآن يقاتل؛ واقتيد في الموكب أيضاً توميلنيك بن توسنيلدا ذو السنوات الثلاث؛ وسيسثاك بن سيجيمر زعيم الكيروسكيين، وزوجته راميس، وزوجة زعيم الخاتيين أوكرومير، والسوغامبري ديفدوريغ[8]، وابن بيتوريغ، وشقيق ميلون. ولكنّ سيجيستوس حمو أرمينوس الذي

لم يتعاطف[9] مع خطط صهره منذ البداية، استغل الفرصة الملائمة وإنحاز إلى الرومان، فحضـر احتفـال النصـر الـذي سـيق فيـه أغلـى النـاس علـى قلبـه أسـرى. كمـا سـيق في موكب النصر أيضاً، ألبيس كاهن الخاتيين وأسرى آخرون كثيرون من أفراد القبائل المبادة: الكولكيين، والكامبسانيين، والبروكتيريين، والأوسبيين، والكيروسكيين، والخاتيين، والخـاتواريين، واللانـديين، والتوباتسـن. ومـن الـرين إلى نهـر الألبـيس حـوالي 300 مرحلـة علـى خطّ مسـتقيم؛ بيـد أنـه بـات مـن الضـروري الآن السـير علـى طريـق غـير مباشرة تدور حول المستنقعات والأدغال.

5- إن الغابة الهركانية غابة كثيفة إلى حدّ ما، وشجرها كبير؛ وهي تمتدّ على فضـاء رحـب في محـيط المنطقـة الـتي حصـنتها الطبيعـة [نفسـها]؛ وثمّـة في وسـط الغابـة مكـان ملائـم تمامـاً للمسـتوطنة الـتي كنـت قـد أشـرت إليهـا[10]. وعلـى مقربـة مـن تلـك المستوطنة تقع منابع إيستر والرين؛ وتقوم بينهما بحيرة[11] ومسـتنقع تشـكّلا مـن فيضـان الرين. ويبلغ محيط البحيرة أكثر من 600 مرحلة، وطول المعبر ما يقارب 200 مرحلة[12]. وفي الـبحيرة جزيـرة اسـتخدمها طيبـاريوس نقطـة اسـتناد في معركتـه بالسـفن ضـدّ الويندليكيين. وتقع البحيرة إلى الجنوب من المنابع، مثلها مثل الغابة الهركانية، بحيـث ينبغـي علـى مـن يتوجـه مـن سـلتيا إلى الغابـة الهركانيـة أن يعبـر الـبحيرة وإيسـتر أولاً، ثـمّ يتـابع طريقـه بعـد ذلـك عبـر معـابر سـهلة- عبر السـفوح- ليصـل إلى الغابـة. فبعـد أن قطـع مسـافة مسـير يـوم واحـد، ظهـرت لطيبـاريوس منـابع إيسـتر. ولا تجـاور منطقـة الـريتيين الـبحيرة إلا علـى امتـداد صـغير، بينمـا تشـاطئ القسـم الأعظـم منهـا منـاطق الجيلفيتـيين والوينـديلكيين، وكـذلك «صـحراء البـويين». وتقطـن هـذه القبائـل كلّهـا وصـولاً إلى البانونيين، وخاصة الجيلفيتيين والويندليكيين، تقطن الهضاب. وتمتدّ منـاطق الـريتيين والنوركيين حتّى معابر الألب، وتتّجه صوب إيطاليا، وفي غضون ذلك يتـاخم قسـم منهـا أرض الإينسوبريين، بينما يتاخم القسم الآخر منها منطقـة الكـارنيين والمنـاطق المجـاورة للأكويليين. وهناك غابة كبيرة أخرى أيضاً، هي غابريتا الواقعة في هذا الجانب من بلاد السويفيين، وفي الجهة الأخرى منها تقع الغابة الهركانية حيث يقطن السويفيون أيضاً.

الفصل الثاني

1- وفيمـا يتعلّـق بـالقمريين، فـإن بعـض مـا يـروى عـنهم غـير دقيـق، وبعضـه الآخـر مستحيل تماماً. فلا يمكن أن نصدّق أن سبب تحوّلهم إلى رحل وقطاع طرق، هو فيضان جارف طردهم من مساكنهم، بينما هم يعيشون في شبه جزيـرة. وواقـع الأمـر، هـو أنهـم ما زالوا حتّى يومنا هذا يملكون البلاد التي كـانوا يشـغلونها مـن قبـل؛ وقـد أرسـلوا إلى

أغسطس هدية المرجل[1] الذي يعدّ عندهم الأكثر قدسية، متوسلين صداقة الإمبراطور، راجين منه أن ينسى أخطاء الماضي؛ وعندما استجاب لرجائهم، عادوا أدارجهم. ومن المضحك أن نظنّ أن القمريين يمكن أن يهجروا بلادهم غضباً من ظاهرة طبيعية معتادة تحدث مرتين في كلّ يوم! ويشبه الاختلاق أيضاً ذلك الزعم الذي يقول، إنه في زمن ما حدث فيضان قوي هنا؛ فالمحيط لدى حدوث هذه الظاهرة الطبيعية، يرتفع وينخفض بشكل دوري متكرر منتظم[2]. ويجانب الحقيقة أيضاً ذلك الذي يروي أن القمريين وهم يتدربون بجسارة، يقاتلون الفيضانات بالسلاح، وأن السلتيين يتسامحون حيال غرق مساكنهم ثمّ يعيدون بناءها من جديد، وأنه يهلك منهم بحسب إيثور، في الماء أكثر مما يهلك في الحرب. أمّا واقع الحال، فهو أن انتظام الفيضانات، ومعرفة المنطقة التي تجتاحها الفيضانات، لا يفترضان مثل هذا الموقف الغبي. ولكن بما أن هذه الظاهرة تتكرر يومياً مرتين، فكيف يمكننا أن نصدّق أن القمريين لم يلاحظوا لو مرّة واحدة أن المدّ والجزر ظاهرة طبيعية غير مؤذية لا تقع في بلادهم وحدها، بل على ساحل المحيط كلّه. وليس كليتارخ محقّاً أيضاً. فهو يقول، لما رأى الفرسان هجوم البحر، قفزوا متراجعين، وأن الأمواج كادت تبتلعهم أثناء فرارهم. فنحن نعرف أولاً، أن المدّ لا يندفع بسرعة كبيرة، بل إن تقدّم البحر بالكاد يكون ملحوظاً؛ ثانياً، إن ما يحدث كلّ يوم وصخبه يصمّ من بعيد، آذان الذين يقتربون من البحر (حتى قبل أن يرى)، لا يمكن أن يحدث خوفاً يدفع الناس إلى الفرار كما لو أنه وقع على حين غرة.

2- إن بوسيدونيوس محق في انتقاده المؤرّخين على مثل هذه الآراء، وهو يقدّم اقتراحاً موفقاً مؤداه، إن القمريين بصفتهم قطاع طرق ورحل، شنوا حملة وصلوا فيها إلى منطقة ميوتيدا؛ وهم الذين منحوا البسبور اسم «الكيميري»، وكأنه «القمري» لأنّ الإغريق دعوا القمريين كيميريين. ويقول بوسيدونيوس أيضاً، إن البويين عاشوا في الأول في الغابة الهركانية، وتغلغل القمريون إلى هذه المنطقة، لكنّ البويين صدوهم فانحدروا إلى إيستر وإلى بلاد الغلاطيين السكورديسكيين، ثمّ إلى منطقة التيفريستيين والتاوريكسيين (وهم غلاطيون أيضاً)، وأخيراً إلى بلاد الجيلفيتيين، وهم قبيلة غنية بالذهب، لكنّها مسالمة. ولما رأى الجيلفتيون أن الثروة التي جمعها القمريون بالغزو والنهب تفوّق ما يملكونه هم (خاصة منهم قبيلة التيجيرينيين وقبيلة التويجينيين)، نهضوا دفعة واحدة وانضمّوا إلى القمريين. لكنّ الرومان هزموا القمريين ومن قام معهم، فريقاً بعد عبور الألب، وفريقاً عندما كان لا يزال على هذا الجانب من الألب.

3- ويقولون، إن عند القمريين العادة الآتية: ترافق النسوة اللواتي شاركن في

الحملة، كاهنات - متنبّئات شعرهن أشيب ويرتدين ملابس كتانية بيضاء مثبتة [على الكتف] بمشابك، ومحزمة على الخصر بحزام برونزي، وهن حافيات. وتعدو هؤلاء الكاهنات عبر المعسكر بسيوف مسلولة لملاقاة الأسرى، فيضعن على رؤوسهم أكاليل ويقدنهم إلى قدر القرابين النحاسي الذي تصل سعته إلى 20 أمفورا[3]؛ وتقوم هنا منصة ترقاها الكاهنة، وإذ تنحني هذه فوق المرجل[4]، تقطع حنجرة كلّ أسير يصعدونه إلى هناك. وحسب الدماء التي تسيل في القدر يتنبّأ بعض الكاهنات، ويقطع بعضهن الآخر أجساد الضحايا ويتفحصن أحشاءهم ويتنبأن للقبيلة بالنصر. وفي أثناء المعركة كن يضربن على جلود مشدودة على قفف مجدولة على عربات فيحدثن صخباً مروّعاً.

4- أمّا الجرمان، وكما قلت سابقاً[5]، فإن الجرمان الشماليين يستوطنون ساحل المحيط. ولكنّنا لا نعرف إلا القبائل التي تعيش بين مصبّات الرين حتّى الألبيس؛ والأشهر بين هذه القبائل هم السوغامبريون والقمريون. أمّا المناطق الواقعة وراء الألبيس قرب المحيط[6]، فهي مجهولة تماماً بالنسبة لنا. وأنا لا أعرف فعلاً أن أيّاً ممن سبقونا قد أبحر على ساحل المحيط إلى المناطق الشرقية وصولاً إلى ثغر بحر قزوين؛ ولم يدخل الرومان بعد الأراضي الواقعة وراء الألبيس؛ وعلى النحو عينه، فإن أحداً لم يدخل إلى هناك براً. ولكن إذا أخذنا دائرة ومضينا نحو الشرق، فإننا نجد أمامنا أراضي واقعة عند البوريسفين وإلى الشمال من البونتس، وهذا واضح من «الأقاليم»[7] والمسافات المتوازية. ولكن ماذا يقع وراء جرمانيا: هل ينبغي أن نقر بأن الباستارنيين يقطنون هناك (كما يرى أكثرهم)، وأن أقواماً أخرى تعيش بينهم: البازيغيون أو المنقسمون[8] أو أي من الرحل الآخرين الذين يعيشون في الخيام[9]، من الصعب أن نجيب. وليس من السهل أيضاً أن نقرر ما إذا كانوا قد سكنوا الامتداد الساحلي كلّه وصولاً إلى المحيط، أم أن شطراً من البلاد بقي غير مسكون بسبب شدّة الصقيع، أو لأي سبب آخر، أو ما إذا كان شعب آخر قد حل بدلاً من الجرمان واستوطن بين البحر ومنطقة الجرمان الشرقيين. كما أن الجهل سيد الموقف في معلوماتنا عن الشعوب الشمالية الأخرى التي تليهم مباشرة. فأنا فعلاً لا أعرف الباستارنيين[10]، ولا السافروماتيين، ولا أي شعب على وجه العموم من الشعوب التي تقطن على البونتس؛ كما لا أعرف حتّى مدى بعدهم عن البحر الأطلنطي وما إذا كانت تشاطئه مناطقهم.

الفصل الثالث

1- يشغل السويفيون الشطر الجنوبي من جرمانيا الواقع وراء الألبيس، ذلك الشطر نفسه المجاور للنهر. تلي ذلك مباشرة أرض الجيتيين، وهي في البداية ضيّقة،

تمتدّ على طول إيستر في جهته الجنوبية، وتمتدّ في الجهة المقابلة على طول المنحدر الجبلي للغابة الهركانية (وعلى وجه العموم فإن أرض الجيتيين تشمل أيضاً شطراً من الجبال)؛ وبعد ذلك تتسع شمالاً حتّى أرض التيريجيتيين. ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أحدّد حدوداً دقيقة. فعدم المعرفة بهذه البلدان يرغمنا على أن نعطي أهمية لأولئك الذين اختلقوا «الجبال الريبية»[1] و«الهيبربورياس»[2] الأسطوريين، ولشتّى اختلاقات بيثيوس الماسالي عن البلاد التي تمتدّ على طول ساحل المحيط، والتي غطاها هذا بمعلوماته الفلكية والرياضية. وغني عن البيان القول، إننا لم نلق بالاً لهؤلاء. والحقيقة أنه إذا كان سوفوكليس بصفته شاعراً تراجيدياً، يقول إن أوريفيا التي اختطفها بورياس، قد حملها:

عبر سطح الماء الهادئ كلّه إلى طرف الأرض،
إلى تيارات الليل[3]، إلى رحابة السموات[4]
وإلى بستان[5] ثيب القديم...[6]،

(مقطع 870، ناؤوك)

فإن روايته لا تمت بأيّ صلة للمسألة التي طرحناها؛ فهذه الرواية ينبغي إسقاطها، كما يفعل سقراط في «فيدرا»[7]. أمّا نحن فسنتحدّث عمّا عرفناه من التاريخ القديم والحديث.

2- وبحسب الإغريق أن الجيتيين من القبائل التراقية، وقد عاش الجيتيون على ضفتي إيستر، ومثلهم مثل المسيسيين الذين يعدون من التراقيين أيضاً، فهم شعوب إدّغم بعضها مع بعض وتدعى الآن باسم مشترك واحد هو الميسيسيون. ومن هؤلاء الميسيسيين خرج الميسيسيون الذين يعيشون الآن بين الليديين، والفريجيين، والطروادبين. أمّا التراقيون أنفسهم، فهم البريغيون، وهؤلاء واحد من الشعوب التراقية، مثلهم في هذا مثل الميغدونيين، والبيبريكيين، والميدويثيين، والبيثينيين، والفينيين، وكما أرى أنا، والماريانديديين أيضاً. إن هؤلاء كلّهم غادروا أوروبا تماماً، أمّا الميسيسيون فقد بقوافيها. وأرى أن بوسيدونيوس محق إذ يفترض أن هوميروس يقصد إلى الميسيسيين في أوروبا (أولئك الذين في تراقيا تحديداً)، عندما يقول:

... أمّا هو فحوّل عينيه البراقتين بعيداً
متطلعاً صوب أرض التراقيين الخيالة
والميسيانيين البارعين في القتال الفردي

(الإلياذا XIII، 3-5)

فلو رأينا هوميروس يتحدّث عن الميسيسيين في آسيا، فإن هذا التعبير سيكون تعبيراً سخيفاً منافياً للعقل. والحقيقة أن القول، إن زيوس حوّل نظره عن الطرواديين إلى أرض التراقيين، ثمّ في الوقت نفسه ربط أرض الميسيسيين بتراقيا، وهؤلاء ليسوا بعيدين أبداً، لكنّهم يقطنون على الحدود مع طروادا، وراءها على الجانبين ويفصلهم عن تراقيا الهلسبونت الواسع، إن مثل هذا القول يعني خلط القارّات بعضها ببعض وعدم فهم أسلوب الشّاعر في التعبير؛ فالقول «حوّل عكساً» يعني عادة[8] «إلى الخلف»؛ ولكن من نقل نظره من الطرواديين إلى القبيلة التي تقع إمّا وراء الطرواديين، أو على جانبيهم، فإنه من غير شك ينقل نظره إلى الإمام، وفي الأحوال كلّها ليس إلى «الخلف». ويأتي قول هوميروس التالي[9] ليؤكّد وجهة النظر عينها، لأنّ الشّاعر ربط بالميسيسيين كلاً من الهيبيمولغيين والغالاكتوفاغيين والأبيين، وهم السكيثيون والساماثيون الذين يتنقلون مع خيامهم. وحتّى يومنا هذا لا تزال هذه القبائل ومثلها الباستارنيون، مختلطة مع التراقيين (والحقيقة مع الذين يعيشون على ذلك الجانب من إيستر وعلى هذا الجانب منه). واختلطت معهم أيضاً القبائل السلتية: البوبيون، والسكورديسكيون، والتاوريسكيون. وثمّة من يدعو السكورديسكيين «سكورديستيين»، والتاوريسكون «تيوريسكيين»[10] و«تاوريستيين».

3- وحسب بوسيدونيوس أن الميسيسيين وبدافع النبل، يمتنعون عن استهلاك الكائنات الحية في طعامهم، ولذلك فهم لا يأكلون الحيوانات المنزلية أيضاً. يأكلون العسل، والجبنة، ويعيشون حياة مسالمة، ولذلك يدعونهم «خائفي الإله» و«الكابنوباتيين»[11]. وثمّة تراقيون يقطنون منفصلين عن النساء؛ ويدعى هؤلاء «كتيستيين[12]»، وبسبب التبجيل الذي يحظون به، يعدونهم مقدّسين، ولذلك فهم يعيشون متحرّرين من أي خوف كان. ويتحدّث هوميروس عن هذه الشعوب كلّها جمعاً:

... الهيبيمولغيين، الرجال البارعين.
والغالاكتوفاغيين والأبيين، الأكثر عدلاً
بين البشر كلّهم.

(*الإلياذا* XIII، 5-6)

ويدعوهم الشّاعر «أبيين» لأنهم يعيشون منفصلين عن النساء، لأنه يرى أن الحياة من غير نساء تكون ناقصة (تماماً مثلما رأى بروتيسلايوس «ناقصاً» لأنه كان أرمل)[13]. وهو يتحدّث عن الميسيسيين بصفتهم «مقاتلي عراك»، لأنهم كانوا غير هيابين كأي مقاتلين شجعان آخرين. ويضيف بوسيدونيوس أنه ينبغي أن يكتب في النشيد «الثالث عشر»[14] بدلاً من «مسيانيين مقاتلي عراك» «ميسيسيين مقاتلي عراك».

4- ولكن ربّما يكون تغيير قراءة معتمدة على طول تلك السنين كلّها، أمراً لا لزوم له. فالاحتمال الأكبر هو أن يكون هذا الشعب قد حمل بادئ ذي بدء اسم الميسيسيين، ثمّ بات يدعى في زمن تال بالاسم الذي يحمله الآن. أمّا الأبيون، فيمكن تأويل اسمهم بمعنى «العازبين»، أو بمعنى «المحرومين من المواقد»، أو «الذين يعيشون في الخيام». فالظلم لا يظهر على وجه العموم إلا نتيجة للصفقات و[هناك حيث] تؤدّى آيات الاحترام للثروات المادية. ولذلك فإنه من المعقول لو دعي أمثال الأبيين الذين يعيشون حريصين على كفاية متواضعة، بالناس الأكثر عدلاً. وحقيقة الأمر، هي أن الفلاسفة الذين يقاربون بين العدالة والتواضع، يسعون قبل كلّ شيء إلى الاستقلال الشخصي والبساطة. ولذلك فإن بعضهم إذ دفع بالقناعة إلى حدّ التطرف، تحوّل إلى نمط عيش الكلبيين. أمّا فيما يخصّ «العيش من غير نساء»، فإنه لا يعطي ذريعة لمثل هذه التصوّرات، وأقلها في بلاد التراقيين، والأقل بينهم عند الجيتيين. وهاكم ما يقوله عنهم ميناندرس، وهو بالتأكيد لا يختلق المعلومات بل ينهلها من التاريخ:

وبعد قليل يسوق لنا أمثلة على إفراطهم في العلاقة مع النساء:

كل منهم عندنا يأخذ لنفسه عشر زوجات
أو إحدى عشرة، وآخرون أكثر من دستة،
وقد يأخذ أحدهم أربع زوجات أو خمس،
ويقتل نفسه عندهم من لا يعرف اللذات
وأغاني الأعراس

(مقطع 794، كيرتيه - تيرفيلدير)

هذه الحقائق يؤكّدها آخرون أيضاً. ولكن من المستبعد أن يرى أولئك الناس أنفسهم، أن الحياة من غير نساء، هي حياة تاعسة. وغني عن البيان القول، إن الإقرار بأن الذين يعيشون من غير نساء، هم أناس «أنقياء» و«كابنوباتيين»، هو قول يناقض المفاهيم المتفق عليها؛ فكلّهم يرى أن النساء هن اللواتي أسّسن «لمخافة الإله»[15]. فهن اللواتي يدعين أزواجهن لمزيد من تبجيل الآلهة، وإقامة الأعياد، ورفع الصلوات. ومن النادر أن تجد رجلاً يعيش لوحده حياة نقية. وهاكم ما يقوله ذلك الشّاعر نفسه كاشفاً عن رجل كدّرته نفقات النساء على القرابين:

الآلهة تمزقنا من غير رحمة،
خاصة نحن المتزوجين: دائماً
ينبغي إقامة عيد ما.

(مقطع 796، كيرتيه - تيرفيلدير)

ثم يبرز شخصاً كارهاً للزواج يشكو من هذا أيضاً:

لقد قدمنا ذبائح مرات خمس في اليوم،

كانت تضرب بالصنوج سبع خادمات،

والأخريات يندبن

(*مقطع 277، كيرتيه- تيرفيلدير*)

وعلى هذا النحو يكون من غير المنطقي أن نعتبر العازبين من الجيتيين انقياء متميّزين، ولكنّ الذي لا ريب فيه، هو أن هذه القبيلة كانت غيورة غيرة كبيرة على تبجيل الآلهة (وأنهم لم يستهلكوا الحيوانات في طعامهم انطلاقاً من دوافع تتعلّق بالفضيلة)، وهذا ما تؤكّده المعطيات التي ساقها بوسيدونيوس، وتلك التي أوردتها المصادر التاريخية.

5- وهكذا، يروى أن جيتياً يدعى زامولكسي كان عبداً لدى فيثاغورس. وقد تلقى هذا من الفيلسوف[16] بعض المعطيات عن الظاهرات السماوية، ومعلومات أخرى عن المصريين، لأنه وصل في ترحاله حتّى مصر. ولدى عودته إلى وطنه، بلغ زامولكسي شأناً مرموقاً لدى الحكّام والشعب بصفته مؤوّلاً للظاهرات السماوية. ونجح في آخر الأمر في أن يقنع الحاكم بأن يجعله معاوناً له بصفته يملك قدرة الكشف عن إرادة الآلهة. لكنّهم أسندوا إليه في بادئ الأمر وظيفة كاهن الإله الأعظم عندهم، وبعد ذلك أعلنوه هو نفسه إلهاً. لقد اختار زامولكسي [مقر إقامته] أحد الأماكن الكهفية العصية على الناس الآخرين كلّهم، وعاش هناك لا يقابل الناس إلا نادراً، ما عدا الملك وخدمه. وقد سانده الملك إذ رأى أن الشعب يخضع له الآن أكثر بكثير مما في الماضي، لأنه بات على ثقة بأنه يعطي تعليمات وإرشادات وفقاً لنصيحة الآلهة. وبقي هذا التقليد حتّى أيامنا هذه، لأنه كان يوجد عندهم دائماً شخص من النمط المهيأ فعلاً لأن يكون مستشاراً لدى الملك، وكان هذا يعدّ عند الجيتيين إله. وبدوره عد الجبل[17] مقدّساً أيضاً، وعلى هذا النحو دعاه الجيتيون، فاسمه كوغيون، وهذا الاسم هو عينه اسم النهر الذي يجري على مقربة. وعندما كان يحكم الجيتيين الملك بيريبيست[18]، الذي كان قيصر الإلهي يعدّ العدة لقتاله، كان ديكينيوس لا يزال هو الذي يشغل هذه الوظيفة. وبهذه الطريقة أو تلك لا تزال العادة الفيثاغورسية بعدم استهلاك الحيوانات في الوجبة الغذائية، قائمة حتّى اليوم.

6- وعلى الرغم من أن هكذا عقبات يمكن أن تظهر بخصوص نص هوميروس المعني عن الميسيسيين و«الرجال الغربيين الهيبيمولغيين»، وأن ظهورها أمر مشروع، إلا أن ما يؤكّده أبوللودوروس في مقدّمة كتابه الثاني: «عن السفن»[19] غير مقبول بأيّ

شكل من الأشكال. فهو يحبذ رأي إيراتوسفين عن أن هوميروس والكتّاب القدامى الآخرين، مع أنهم كانوا يعرفون البلدان الإغريقية كلّها، إلا أنهم أظهروا جهلاً تاماً بالأراضي النائية، لأنهم لم يكونوا ذوي خبرة في الرحلات البرية البعيدة، كما لم يكونوا بحارة ذوي دراية. ووفقاً لهذا يقول أبوللودوروس، إن هوميروس يصف أوليدا «بالصخرية»[20] (كما هي حالها فعلاً)، وإيتيونوس «بالحراجية - الهضابية»[21]، وفيسبا «بمحبوبة القطعان الزرقاء»[23]، وهاليارتوس «بذات المروج الكثيرة العشب»[23] ولكن لا هوميروس ولا الكتّاب الآخرون لم يعرفوا بحسب قوله، البلدان النائية. ثمّ يقول: على أي حال، مع أن ما يقارب 40 نهراً يصبّ في البونتس، إلا أن هوميروس لم يأت حتّى على ذكر الأكثر شهرة بينها كنهر الإيستر، ونهر تانايس، والبوريسفين، وهيبانيس، وفاسيس، وثرمودونس، وهاليس. وعدا عن أنه لا يأتي على ذكر السكيثيين، فإنه يختلق من دعاهم «بالرجال الغربيين الهيبيمولغيين»، و«الغالاكتوفاغيين»، و«الأبيين». أمّا البافلاغونيون الذين يعيشون في داخل البلاد، فيسوق عنهم معلومات تلقّاها ممن زاروا تلك المناطق براً، لكنّ الساحل[24] بالنسبة إليه مجهول. وهذا أمر طبيعي، لأنّ هذا البحر كان في تلك الأزمنة عصياً على الملاحة، وكان يدعى «الأكسيني»[25] بسبب العواصف الشتوية ووحشية قبائل الضواحي، خاصة السكيثيين، لأنّ هؤلاء كانوا يقدّمون الغرباء ذبائح ويأكلون لحومهم، ويستخدمون الجماجم كؤوساً. وفيما بعد، بعد أن بنى الإيونيون مدناً على الساحل، دعي هذا البحر بالبحر «الإيفكسيني»[26]. وعلى هذا النحو عينه لا يعرف هوميروس شيئاً عن الحقائق المتصلة بمصر وليبيا، كفيضان النيل مثلاً، وترسبات البحر، التي لم يذكر أي شيء عنها في أي مكان من ملحمتيه؛ كما لم يأت الشّاعر على ذكر البرزخ الواقع بين البحر الأحمر والبحر المصري، ولا على ذكر شبه جزيرة العرب، وإثيوبيا، والمحيط؛ وعليه يجب أن نوافق الفيلسوف زينون الذي يقترح القراءة الآتية:

لقد أوغل إلى السود الإثيوبيين،

ونزل ضيفاً على الصيدونيين، والعرب.

(*الأوذيسا* IV، 84)

ولكنّ عدم معرفة هوميروس بهذا كلّه ليس أمراً مستغرباً، لأنه حتّى الكتّاب الأحدث عهداً لا يعرفون الكثير، ويروون أشياء ليست أكثر من خزعبلات. فهسيود مثلاً، يتحدّث عن «بشر أنصاف كلاب»[27]، وعن «ذوي الرؤوس الكبيرة»، وعن «البجم»؛ ويتحدّث ألكمان عن «بشر أرجلهم غشائية»؛ وإيسخيليوس عن بشر لهم «روؤس كلاب» و«بشر أعينهم في صدورهم»، وآخرين لهم «عين واحدة» (في

«بروميثيوس»، كما يقولون)[28]، وعن كائنات خرافية كثيرة أخرى. ثمّ ينتقل أبوللودوروس من الشعراء إلى المؤرّخين الذين يتحدّثون عن «الجبال الريبية»[29]، و«جبل أوجيوس»[30]، مأوى الغورغونات والهسبيريدس؛ وعن «البلاد الميروبية»[31] عند ثيوبومبوس، و«المدينة الكيميرية» عند هيكاتيوس، و«البلاد البانهية» عند إيفجيميروس[32]، و«الحجارة النهرية التي تشكّلت من الرمل، لكنّها تتحلل بالمطر»، عند أرسطو[33]. ويواصل أبوللودوروس قائلاً، إن في ليبيا «مدينة الديونيسيين» التي لا يستطيع الشخص نفسه أن يدخلها مرتين. وهو يلوم أيضاً أولئك الذين يجعلون تيه أوديسيوس الهوميروسي في أرجاء قريبة من صقليا. ربّما إذا كان يجب أن نؤكد على أن تيه أوديسيوس قد كان هناك، لكنّ الشّاعر ولغرض الإمعان في التخيّل فقط نقله إلى ما وراء المحيط[34]. وإذا كان يمكننا أن نعذر الكتّاب الآخرين على هذا، يضيف أبوللودوروس، فليس ثمّة أي عذر كان لكاليماخ، لأنه يدّعي المعارف اللغوية: يؤكّد كاليماخ أن غاود، هي «جزيرة كاليبسو»، وكوركيرا جزيرة «سكيريا». ويلوم أبوللودوروس الآخرين على اختلاقاتهم بخصوص «هيرينا»، و«أكاكسيوس»، و«ديموس» في إيثاكا، و«بيليفرونيوس» على بيليون، و«غلاوكوبيوس» في أثينا. وفي الختام يضيف أبوللودوروس إلى هذه الملاحظات بعض التفاصيل الأخرى الصغيرة التي اقتبسها كما هي عن إيراتوسفين، وهي، كما أشرت من قبل[35]، غير صحيحة. ولا شك في أنه يمكننا أن نوافق أبوللودوروس وإيراتوسفين على أن الكتّاب الحديثين أكثر ضلوعاً في هذه المسائل من الكتّاب القدامى؛ إلا أنهم مع ذلك يتجاوزون الحدود المسموح بها في نقدهم لهوميروس، وكما أرى فإنه يمكن أن يوجَّه إليهم لوم محقٌّ، بل وعلى الضد، إذ ينبغي أن نشير إلى أنهم يلومون الشّاعر فيما لا يعرفونه هم أنفسهم. وعما تبقى مما يمكن قوله في هذه المسألة، سوف نتحدّث في حينه عن وصف البلدان كلّ على حدة، كما عند وصفها على وجه العموم[36].

7- لقد تحدّثت حتّى الآن عن التراقيين [وذكرت]

الميسيانيين مقاتلي العراك والرجال الغريبين الهيبيمولغيين.

والغالاكتوفاغيين والأبيين، الأكثر عدلاً بين البشر كلّهم.

(*الإلياذا* XIII، 5-6)

لأنني رغبت في أن أقارن وصفي مع روايات بوسيدونيوس وأبوللودوروس، وإيراتوسفين. وينبغي أن نزيد، إن حججهم تتناقض مع الموضوعات التي طرحوها هم أنفسهم. فقد وضعوا لأنفسهم مهمّة إثبات أن معلومات القدماء عن البلدان البعيدة عن اليونان، أقلّ من معلومات الذين عاشوا في زمن أحدث. ولكنّهم برهنوا العكس، لا فيما يتعلّق

بالبلدان النائية وحسب، إنّما فيما يخصّ مناطق في اليونان نفسها أيضاً. ومع ذلك فلنترك الآن كلّ أمر آخر ولننظر أمراً واحداً فقط. فإيراتوسفين وأبوللودوروس يؤكّدان أن هوميروس بسبب عدم معرفته لم يأت على ذكر السكيثيين وتعاملهم الوحشي مع الغرباء (الذين كانوا يقدّمونهم ذبائح، ويأكلون لحمهم، ويستخدمون جماجمهم كؤوساً)، مع أن البونتس دعي «أكسينياً» بسببهم، وأن الشّاعر اختلق

... الرجال الغريبين الهيبيمولغيين،

والغالاكتوفاغيين والأبيين الأكثر عدلاً بين البشر كلّهم،

(*الإلياذا* XIII، 5-6)

وهم الشعب الذي لا وجود له في أي مكان على الأرض. ولكن، كيف دعا القدماء البونتس «أكسينياً» لو لم يكونوا على علم بوحشية السكّان وبوجودهم أيضاً، وبصفتهم الشعب الأكثر وحشية؟ وهذا ما كان عليه السكيثيون بالتأكيد. والقبائل التي كانت تقطن وراء مناطق سكن الميسيسيين، والتراقيين، والجيتيين؟ ألم يكن هؤلاء هم الهيبيمولغيون[37]، والغالاكتوفاغيون[38]، والأبيون[39]؟ بل حتّى يومنا هذا لا يزال هناك من يدعون «سكّان الخيام»، و«الرحل» الذين يمارسون تربية الحيوانات ويقتاتون بالحليب والجبنة، خاصة جبنة اللبن المختمر، ولا يعرف هؤلاء صنع الاحتياطات، ولا التجارة، ما عدا تبادل السلع بالسلع. فكيف إذن لهوميروس ألاّ يعرف السكيثيين إذا كان قد ذكر «الهيبيمولغيين والغالاكتوفاغيين»؟ فمعاصرو الشّاعر دعوا السكيثيين هيبيمولغيين، وهسيود شاهد على هذا فيما أورده عنه إيراتوسفين:

الإثيوبيين، والليغوريين والسكيثيين- الهيبيمولغيين.

(*مقطع* 55، *رجاخ*)

ولكن، لما الاستغراب إذا كان هوميروس وبسبب تكرار حالات الغش عندنا لدى عقد الاتفاقات، قد أطلق صفة «الأكثر عدلاً»، و«الرجال الغريبين» على أولئك الذين أقل ما يفعلونه في حياتهم، هو عقد الصفقات والسعي لتحصيل المال، بل يملكون كلّ شيء جماعة، ما عدا السيف والكأس التي يشربونه بها[40]، حتّى زوجاتهم كن، وفق معايير أفلاطون، شراكة بينهم، وكذلك أطفالهم[41]. ويتوافق إيسخيليوس تماماً مع هوميروس عندما يقول عن السكيثيين:

لأنهم يأكلون الجبن من اللبن المختمر،

فهم، السكيثيون أهل عدل[42].

(*مقطع* 198، *ناؤوك*)

ولا يـزال هـذا الـرأي سـائداً عنـد الإغريـق حتّـى يومنـا هـذا، فـنحن نـرى أن السـكيثيين هـم الأكثـر استقامة، والأقل قـدرة علـى الغـدر، وكـذلك الأكثـر حـذراً واسـتقلالية منّـا نحـن. ومجمـل القـول، هـو أن نمـط العـيش الـذي اعتمـدناه قـد أفسـد الأخـلاق عنـد الشـعوب كلّهـا تقريبـاً، إذ أدخـل إلى أوسـاطها البـذخ ومحبـة الملـذات، ولإشـباع هـذه العيـوب أدخـل أيضـاً الدسـائس الخسيسـة ومختلـف مظـاهر الجشـع الـتي تنتجهـا. وقـد تسـرب مثـل هـذا الفسـاد الأخلاقـي إلى أوسـاط القبائـل البربريـة بوضـوح كبير، وينسحب هذا خاصة على «الرحّل». فبعد أن تعرف هـؤلاء علـى البحـر باتوا فعـلاً أكثـر سـوءاً، مـن الوجهـة الأخلاقيـة (فقـد اتّجهـوا إلى القرصنـة البحريـة وبـاتوا يقتلـون الغرباء)، لكنّ تواصلهم مع قبائل كثيرة أفضـى بهـم إلى أن يقتبسـوا البـذخ والنـزوع إلى المساومات. والحقيقة أن هذا يسـاهم في تهـذيب الأخـلاق، إلا أنـه مـع ذلـك يفسـدها، لأنّ الخبث يحلّ محلّ النقاء، وهذا ما أشرت إليه قبل قليل.

8- ولكـنّ السـكيثيين الـذين عاشـوا قبلنـا بـزمن طويـل، خاصـة منـهم الـذين كانوا قريبين لمعاصـري هـوميروس، قـد كـانوا موجـودين فعـلاً، وعـدهم الإغريـق، إلى حدّ ما، كما وصفهم هوميروس. فـانظر مـا يقولـه هـيرودوت عـن الملـك السـكيثي الـذي شن ضده داريوس حملة، وما أمر هذا الملك أن ينقل عنه إلى داريوس[43]. وانظـر كـذلك ما يقوله كـريسيب[44] عن الملوك البسبوريين من سـلالة ليفكـون. ومثـل هـذه الاسـتقامة التي تحدّثت عنها هنـا، تمـلأ الرسـائل الفارسـية والمقولات المصـرية، والبابليـة، والهنديـة الـتي تسـتحق الاحـترام. ولـذلك حظـي أناخارسـيس وأبـاريس وبعـض الأشـخاص الآخـرين ممـن يشـبهونهما بـاحترام كـبير عنـد الإغريـق، لأنهـم أظهـروا سمـات متميّـزة في تواضـع شعبهم، وبساطته، وعدله. ولكـن مـا الغـرض مـن الحـديث عـن القـدماء فقـط؟ لقـد شـن الإسـكندر ابن فيليب حملة ضدّ التراقيين الـذين كـانوا يقطنـون وراء جيمـوس؛ واجتـاح بلاد التريباليين، التي تمتدّ بحسب ما رأى، حتّى الإيستر وجزيرة بيفكـا الـتي عليـه، ثـمّ إلى المنـاطق الواقعـة وراء الإيسـتر والـتي يشـغلها الجيتيـون، ثـمّ انحـدر، كمـا يـروى، إلى الجزيرة؛ بيد أنه لم يستطع أن ينزل على الجزيرة بسبب نقص السفن، فملـك التريبـاليين سيرم الذي فرّ إلى هناك، قاوم مسعى الإنزال. عندئذٍ اتّجه الإسكندر إلى بلاد الجيتيين، فاستولى على مدينتهم، وأسرع عائداً إلى بلاده بعد أن تلقى هدايا مـن هـذه القبائـل ومـن سـيرم. وحسـب بطليمـوس بـن لاغ أن السـلتيين الـذين كـانوا يقطنـون عنـد البحـر الأدرياتيكي انضمّوا إلى الإسكندر في حملته هذه، رغبة منهم في عقد تحالف صداقة وحسن ضيافة معه. وقد استقبلهم الملك على الرحب والسعة، وفي أثناء الوليمة سألهم عن

أكثر ما يخافونه، متوقعاً أن يجيبوه: «أنت». لكنّ السلتيين أجابوا بأنهم لا يخافون شيئاً، ما عدا سقوط السماء فوق رؤوسهم، مع أنه لا ريب في أنهم كانوا يتمنون صداقة مثل هذا الرجل أكثر من أي شيء آخر. وهاكم البرهان على استقامة البرابرة: أولاً، لم يسمح سيرم للفرسان بدخول الجزيرة، لكنّه مع ذلك أرسل الهدايا وعقد اتفاقية صداقة، ثانياً، لقد أعلن السلتيون أنهم لا يخافون أحداً، لكنّهم يقدّرون أكثر ما يقدّرون صداقة الناس العظماء. وفي زمن خلفاء الإسكندر، اختطف دروميخت ملك الجيتيين، ليسيماخ حياً[45]، وكان هذا قد شن حملة ضده. وبعد ذلك لفت الملك نظر ليسيماخ إلى فقره وفقر قبيلته، لكنّه أكّد في الوقت نفسه على استقلاليتهم، وأشار عليه بالا يحارب مثل هذه القبائل، بل يقيم معها علاقات صداقة. وبعد هذه الكلمات أقام الملك وأسيره استقبالاً حافلاً وعقد معه اتفاق ود وصداقة، ثمّ أطلق سراحه. ويرى أفلاطون في كتاب «الدولة» أنه يجب على من يرغب في بناء دولة بناء جيداً أن يبتعد قدر الإمكان عن البحر ابتعاده عن مرشد سيّئ، وألا يعيش على مقربة منه[46].

9- في الكتاب الرابع من «تاريخه» وتحت عنوان «أوروبا»[47]، يصف إيثور أوروبا وصولاً إلى سكيثيا، ويقول قبيل الخاتمة، إن نمط حياة السارماثيين وسواهم من السكيث الآخرين، ليس واحداً، لأنّ بعضهم قساة إلى درجة أنهم يأكلون اللحم البشري، ولكنّ الآخرين على الضدّ، يمتنعون عن استهلاك الكائنات الحية في طعامهم. وحسب إيثور أن الكتّاب الآخرين لا يذكرون سوى وحشيتهم، لأنهم يعرفون أن المخيف والمدهش يثيران الخوف، بيد أنه ينبغي، بحسب إيثور، أن يجري الحديث أيضاً عن الحقائق المناقضة، واتخاذها نموذجاً للمحاكاة؛ ولذلك فإنه هو نفسه لن يتحدّث إلا عن أولئك الذين يتبعون أكثر العادات حكمة ونقاء؛ فبين السكيثيين - الرحل قبائل تقتات على اللبن المختمر، وتفوّق القبائل الأخرى كلّها عدلاً. وقد جاء الشعراء على ذكر هؤلاء. وهوميروس تحديداً يقول، إن زيوس ينظر من الأعالي إلى أرض:

الغالاكتوفاغيين والأبيين أكثر الناس عدلاً.

(*الإلياذا* XIII، 6)

ويقول هسيود فيما يدعى «طواف الأرض»، أن الهربيات قدن ثينيوس إلى:

أرض الغالاكتوفاغيين، الذين مساكنهم المركبات.

وبعد ذلك يورد إيثور سبب بساطة عيشهم وعدم ميلهم إلى الطمع بالمال، والتزامهم العادات الطيبة تجاه بعضهم بعض (لأن كلّ شيء عندهم مشترك، حتّى النساء والأطفال والعائلة كلّها)، فالغرباء لا يهزمونهم ولا ينتصرون عليهم، لأنهم لا

يملكـون شـيئاً يسـتحق أن يسـتعبدوا بسـببه. وينقـل إيثـور عـن كيريلـوس الـذي يقـول في «عبوره الجسـر العائم»[49] (وكان داريوس قد بنى هذا الجسـر)[50]:

الساكيون رعاة الضأن بالولادة سكيثيون؛

إنهم يعيشون في آسيا الوفيرة الأقماح. ومع

أنهم أحفاد النوماديين، لكنّهم أناس لا عيب فيهم...

ويصف إيثور أناخارسيس بالحكيم، فيقول، إنه ينتمي إلى هذه القبيلة، وقد عدّ واحداً مـن سـبعة حكمـاء لنقائـه الأخلاقـي وعقلـه. وينسـب إليـه ابتكـار كـير الحـداد، والمرساة ذات الخطّافين، ودولاب الفخار. وأنا أذكـر هـذا مع أنـني أعـرف جيداً أن إيثـور نفسـه لا يقـول الحقيقـة كاملـة في كـلّ مـرّة، كمـا هـو واضـح مـن قصـة أناخارسـيس. فكيف يمكن أن يكون دولاب الفخار من ابتكاره إذا كان هوميروس الذي عاش من قبل قد عرف عن هذا الدولاب؟

سهل كما في المعسكر، يدور الدولاب تحت يد خبيرة...

(الإلياذا XXIV، 600)

وإلى ما هنالك. وقد أردت أن أبين بهذا كيف نشأ من رواية شائعة في الزمن القديم، اعتقاد في الزمن الحديث بأن فريقاً من «الرحل» الذين كانوا يقطنون أبعد ما يكون عن الناس الآخرين، كان من الغالاكتوفاغيين، والأبيين، و«الأكثر عدلاً بين الناس»، وأن هذا بالتالي ليس اختلاق هوميروس.

10- وفيما يخصّ الميسيسـيين الـذين ورد ذكـرهم في شـعر هـوميروس، فـإن مـن المشـروع أن نطالـب أبوللـودوروس بتقـديم الحسـاب: هـل يـرى أن الميسيسـيين هـم أيضـاً اختلاق الشّاعر عندما يقول:

الميسيانون مقاتلو عراك والرجال الغريبون الهيبيمولغيون،

(الإلياذا XIII، 4)

أم أنـه يـرى فـيهم أولئـك الـذين يعيشـون في آسـيا؟ وفي الأحـوال كلّهـا، إذا مـا عـدهم أبوللودوروس ميسيسيـيّ آسـيا، فإنـه يخطـئ في تأويـل هـوميروس، كمـا كنـت قـد قلـت سـابقاً، أمّـا إذا مـا كـان يـرى فـيهم اخـتلاق الشـاعر، قاصـداً بـذلك أنـه لم يكـن للميسيسـيين وجـود في تراقيـا، فإنـه يقـع في تنـاقض مـع الوقـائع. ففـي زمننـا هـذا هجَّـر إيليوس كاتوس[51] إلى تراقيا من الجهـة الأخـرى لنهـر إيسـتر 50.000 جيتيّ مـن القبيلـة الـتي تتحـدّث اللغـة نفسـها الـتي يتحـدّثها التراقيـون. ولا يـزال هـؤلاء يعيشـون هنـاك حتّـى اليوم، ويدعون ميسيسيين؛ فهل دعي أسـلافهم بهـذا الاسـم أم أنهـم في آسـيا فقـط بـدلوه

وباتوا يدعون «ميسيسيين»، أم، وهذا يتوافق أكثر مع قول الشاعر، أن قبيلتهم كانت تدعى منذ القدم في تراقيا قبيلة الميسيسيين؟ لكن ما قلناه عنهم هنا يكفي؛ وسوف أعود الآن إلى مواصلة وصفي.

11- سوف نترك تاريخ الجيتيين القديم جانباً؛ أمّا فيما يخصّ الأحداث التي تنتمي إلى زمننا هذا، فإنها على النحو الآتي تقريباً. لقد توصل الجيتي بيريبيستا إلى السلطة العليا في قبيلته. فقد نجح في النهوض بشعبه الذي أضنته الحروب الطويلة، وارتقى به عن طريق التمارين الفيزيائية، والتقشف والامتثال لأوامره، بحيث نجح في خلال سنوات في أن يبني دولة جبّارة أخضعت للجيتيين الجزء الأكبر من القبائل المجاورة. لقد أصبح بيريبيستا يثير الخوف حتّى عند الرومان، لأنه عبر الإيستر غير هيّاب، ونهب تراقيا حتّى حدود مقدونيا وإيلليريا؛ كما اجتاح بلاد السلت الذين تخالطوا مع التراقيين والإيلليريين وخربها؛ أمّا البويون الذين كانوا تحت سلطة كريتاسير والتاورسكيين، فقد دمّرهم تماماً. ولكي يبقي القبيلة تحت السيطرة، طلب عون الكاهن المتنبّئ ديكينيوس[52]، الذي جال في مصر وتعلم معرفة بعض العلامات وإعلان إرادة الآلهة على أساسها. وسرعان ما أعلنوه بعد ذلك إلهاً، كما كنت قد أسلفت عند حديثي عن زامولسكي[53]. ويتمثل البرهان على خضوع الجيتيين الكامل له، في أنهم أباحوا لأنفسهم أن يقتنعوا باقتلاع دوالي العنب والعيش من غير خمرة. ولكن بعد أن أعلن بعض العصاة تمرداً ضدّ بيريبيستا، أطيح بهذا الأخير قبل أن يشنّ الرومان حملتهم عليه. وبعده قسم خلفاؤه الدولة إلى أجزاء. ولمّا أرسل أغسطس قيصر قواته ضدّ الجيتيين كان هؤلاء ينقسمون فعلاً إلى خمسة أجزاء، وفي أثناء الانتفاضة إلى أربعة. ولكنّ مثل هذه الانقسامات كانت عند الجيتيين مؤقتة وتختلف حسب اختلاف الظروف.

12- وهناك تقسيم آخر لهذه البلاد بقي منذ الأزمنة القديمة: فريق من سكّانها يدعى داكيين، وفريق آخر جيتيين؛ وهؤلاء الأخيرون هم الذين نحو البونتس وإلى الشرق، أمّا الداكيون فبالاتجاه المعاكس، نحو جرمانيا وإلى منابع إيستر. وأنا أظنّ أن الداكيين كانوا يدعون قديماً دافيين. ومن هنا جاءت تسمية العبيد في أتيكا بالجيتي والداي. وهذا أقرب إلى الواقع من اشتقاق تسمية داي من السكيثيين الذين يدعونهم دائيين، لأنهم يعيشون بعيداً عن هركانيا، ومن المستبعد أن يكونوا قد جاؤوا بالعبيد من هناك إلى أتيكا. فهناك لم يدع العبيد إلا بأسماء بلدانهم (مثلاً «ليديّ» أو «سوري»)، أو بالأسماء الشائعة في تلك البلدان، مثل «مانيس» أو «ميداس» للعبد

الفريجـي، أو «تيبيـوس» للعبـد البـافلاغوني. ولكـنّ هـذه القبيلـة الـتي أعلـى بيريبيسـتا شأنها، أنهكتها الحـروب الأهليـة وأضعفتها ضـربات الرومـان تمامـاً. ومـع ذلـك لا يـزال الجيتيون قادرين حتّى يومنا هذا على تجنيد 40.000 مقاتل.

13- عبر بـلاد الجيتـيين يجـري نهـر مـاريس إلى الـدانوب الـذي كـان الرومـان يعوّمون فيه التجهيزات والأعتدة الضرورية للقوّات. فـالمجرى الأعلـى لنهـر إيسـتر، أي مـن منابعه حتّى الكاتاراكتا، اعتادوا تسميته الدانوب (في هذا الشطر يجري النهر أساساً في بـلاد الـداكيين)؛ أمّـا مجـراه الأدنـى وصـولاً إلى البـونتس، حيـث يجـري النهـر علـى مقربـة مـن بـلاد الجيتـيين، فإنـه علـى الضـدّ مـن هـذا يـدعى الإيسـتر. إن الـداكيين والجيتيين يتحدّثون لغة واحدة. ومعرفة الإغريق بالجيتيين أقوى بسبب نـزوحهم المتواصل على ضفتي الإيستر، ولأنهم تخالطوا مع التراقيين والميسيسيين. كمـا تعرضـت لمثـل هـذا التخالط أيضاً، قبيلـة التريبـاليين (وهـي قبيلـة تراقيـة أيضـاً). وواقـع الأمـر أن التريبـاليين أتـاحوا النـزوح إلى بلادهـم، لأنّ جيرانهـم أرغمـوهم علـى النـزوح إلى منـاطق القبائـل الأضعف؛ فالسـكيثيون، والباسـتارنيون، والسـارماثيون علـى الجانـب المقابـل مـن النهـر، غالبـاً مـا فـاقوهم قـوّة إلى درجـة أنهـم كـانوا يعـبرون النهـر في إثـر الـذين كـانوا قـد طردوهم، وقد استقر فريق كبير منهم إمّا على الجزر، أو في تراقيـا، أمّـا أولئـك الـذين قطنوا على الجانب الآخر من النهر، فقـد هـزم القسـم الأكبر منهم أمـام الإيلليريـين. إن الجيتيين والداكيين الذين بلغوا في زمـن مـا أعلـى درجـات القـوّة، وكـانوا قـادرين علـى تجنيد 200.000 مقاتل، قـد ضعفوا الآن إلى حـدّ لم يعـد باسـتطاعتهم أن يجنّـدوا أكـثر من 40.000 مقاتل، وقد انحدروا إلى ما يقارب خضوعهم للرومان. ومع ذلـك لم يخضـعوا تماماً، لأنهم يعقدون الأمل على الجرمان الذين يعادون الرومان.

14- في المنطقـة الوسـطى الـتي تتّجـه نحـو بحـر البـونتس في شـطره الممتـدّ مـن الإيستر حتّى تيراس، تقـع «صـحراء الجيتـيين»، وهـي عبـارة عـن سـهل ممتـدّ لا مـاء فيـه. وهنـا وقـع داريـوس بـن غسـتاب في مصـيدة بينمـا كـان يعـبر الإيسـتر في حملتـه علـى السـكيثيين، إذ حـاق بـه خطـر الهـلاك عطشـاً مـع جيشـه؛ ولكـنّ الملـك أدرك مـدى الخطر، وإن متأخراً، وعاد أدراجه. وفيما بعد عندما قاد ليسيماخ حملتـه ضـدّ الجيتـيين وملكهم دروميخت، حاق به الخطر عينه، بل ووقع أسيراً. لكنّه نجا مـن الأسـر، كمـا كنت قد أشرت(54)، وحظي بمعاملة دافئة ودّية من جانب البربري.

15- وتقـع في مصـبّ الإيسـتر جزيـرة كـبيرة، هـي جزيـرة بيفكـا. وقـد دعـي سـكّانها الباسـتارنيون، بيفكينـيين. وثمّـة هنـاك جـزر أخـرى أيضـاً، لكنّهـا أصـغر

بكثير: بعضها أعلى من بيفكا، والأخرى غير بعيدة عن البحر، لأنّ لنهر إيستر سبعة مصبّات. ويدعى أكبرها «المصبّ المقدّس»[55]، الذي يمكن الصعود فيه إلى الأعلى حتّى جزيرة بيفكا، - 120 مرحلة؛ وفي شطره السفلي بنى داريوس جسراً عائماً، مع أن بناءه في شطره العلوي كان ممكناً. وهذا «المصبّ المقدّس»، هو الأول من الجهة اليسرى، إذا أبحرت إلى البونتس[56]؛ ثمّ تأتي المصبّات الأخرى تباعاً بعضها إثر بعض، إذا أبحرت على امتداد الضفّة إلى تيراس. ويقع المصبّ الأول بعيداً عن المصبّ الأخير بمسافة تقارب 300 مرحلة. وتتشكّل بين هذه المصبّات جزر صغيرة. والمصبّات الثلاثة التي تلي «المصبّ المقدّس» ليست كبيرة، أمّا الأخرى فهي أصغر بكثير من «المقدّس» لكنّها أكبر من الأخرى. بيد أن إيثور لا يحصي سوى خمسة مصبّات لإيستر. ومن إيستر إلى تيراس (النهر صالح للملاحة) 900 مرحلة. وتقع بين هذين النهرين بحيرتان كبيرتان؛ إحداهما مفتوحة (لها مخرج) على البحر، ولذلك يمكن أن تشكّل ميناء؛ والأخرى من غير ثغر.

16- ويقوم عند مصبّ تيراس برج يدعى «برج نيوبتوليموس»[57]، وقرية تدعى «قرية هرموناكس». وإذا ما صعدنا مع النهر 140 مرحلة، فإن مدينتين تلاقياننا على ضفتيه: على الضفّة اليمنى نيكونيا، وعلى اليسرى أوفيوسا. ويتحدّث سكّان السواحل، عن مدينة أخرى تقع على بعد 20 مرحلة على المجرى الأعلى للنهر[58]. وعلى بعد 500 مرحلة عن المصبّ تقع في عرض البحر جزيرة ليفكوس.

17- ثمّ يأتي نهر البوريسفين الصالح للملاحة مسافة 600 مرحلة؛ ويجري على مقربة منه نهر آخر، هو نهر هيبانيس، وتقع أمام مصبّ البوريسفين جزيرة فيها ميناء. وإذا ما أبحرت في البوريسفين إلى الأعلى 200 مرحلة، فستلقاك مدينة تحمل اسم النهر نفسه؛ ولكنّها تدعى أيضاً أولبيا[59]، وهي ميناء كبير بناه الميلتوسيون. وتتألّف كلّ البلاد الواقعة على الساحل المذكور بين البوريسفين والإيستر من أولاً، «صحراء الجيتيين»[60]، ثانياً، منطقة التيروجيتيين[61] التي تليها منطقة السارماث اليازغيين، ثمّ بلاد الذين يدعون بالسارماث الملكيين، فبلاد الأورغيين[62]، وأكثر هؤلاء من البدو الرحل (مع أن بعضهم يمارس العمل الزراعي). ويقولون، إن هذه الأقوام تعيش على الإيستر، وفي أحيان كثيرة على ضفّتيه. ويقطن الباستارنيون في عمق البلاد، حيث يجاورون التيرجيتيين والجرمان؛ وقد يكون الباستارنيون شعباً جرمانياً أيضاً، وينقسمون إلى عدة قبائل. وفعلاً فإن بعضهم يدعى أتمونامين، والآخرين سيدونامين؛ ويدعى الذين يمتلكون بيفكا، وهي جزيرة على الإيستر، يدعون بيفكينيين، أمّا

الذين يقطنون شمالاً في السهول الواقعة بين تانايس والبوريسفين، فيدعون روكسولانيين. وبقدر ما هو معروف، فإن البلاد كلّها إلى الشمال من جرمانيا وصولاً إلى بحر قزوين، عبارة عن سهل. ونحن لا نعرف ما إذا كان ثمّة قبيلة ما تقطن وراء الروكسولانيين. وتحت قيادة تاسيوس حارب هؤلاء قادة جيوش ميتريدات إيفباتور. كما جاؤوا لمساعدة بالاك ابن سكيلور، وعدّوا مقاتلين أشداء. بيد أن أي شعب بربري وحشد من المسلحين تسليحاً خفيفاً يكون عاجزاً تماماً أمام أيّ كتيبة منظمة ومسلحة تسليحاً جيداً. وعلى أي حال فقد عجز الروكسولانيون الذين يبلغ عددهم حوالي 50.000 نسمة، عن أن يصمدوا أمام 6000 مقاتل دفع بهم ضدهم ديوڤانتوس أحد قادة قوات ميتريدات، وهلك أكثر في المعركة. ويستخدم هؤلاء خوذاً ودروعاً مصنوعة من جلد الثور الخام، ويحملون تروساً مجدولة كوسيلة دفاعية؛ ولديهم أيضاً رماح، وأقواس، وسيوف. وعلى هذا النحو يتسلّح أكثر البرابرة الآخرين. أمّا الرحّل فإن خيامهم اللبّادية تشدّ إلى العربات التي يسكنون فيها. وحول الخيام تسرح القطعان التي يقتاتون على لبنها، وجبنها، ولحومها. ويسرح هؤلاء بقطعانهم دوماً بالدور، فيختارون الأماكن الغنية بالأعشاب، شتاء في المستنقعات حول ميوتيدا، وصيفاً في السهول.

18- إن كلّ البلاد وصولاً إلى المناطق الساحلية بين البوريسفين وثغر ميوتيدا، تتميّز بشتاء قاس. ولكن الأكثر شمالاً بين المناطق الساحلية نفسها، هو ثغر ميوتيدا، والأكثر شمالاً منها، مصبّ البوريسفين ومنخفض الخليج التاميراكي أو الكاركينتي، حيث يقع برزخ الكيرسونيس الكبير. وعلى الرغم من أن سكّان هذه المناطق يقطنون السهول، إلاّ أن الطقس هنا بارد، وهذا واضح من أن السكّان هنا لا يربّون الحمير (لأن هذا الحيوان لا يتحمّل البرد)؛ ويولد البقر هنا من غير قرون أو يقطعون له قرونه، لأنّ هذا العضو [من أعضاء الجسد] شديد الحساسية نحو البرد؛ أمّا الأفراس فهي قصيرة القامة؛ والأغنام كبيرة الحجم؛ وتتفجر أواني الماء هنا [من شدّة الصقيع]، ويتجمّد ما فيها. وتظهر صرامة الصقيع هنا بأسطع صورها في سياق ما يحصل في ثغر ميوتيدا. فالطريق البحرية من بانتيكابيوس إلى فوناغوريا تغدو متاحة للعربات، بحيث لا تعود الرحلة رحلة بحرية فقط، بل برية أيضاً. والسمك الذي يصاد في الجليد هنا عن طريق «نبشه» بما يسمّى «الغانغا»[63]، خاصة «الزجر»[64]، يماثل حجم الدلفين تقريباً. ويُروى أن نيوبتوليموس قائد قوّات ميتريدات، دمّر في هذا الخليج قوات البرابرة في معركة بحرية وقعت في الصيف، وهزمهم في المكان عينه شتاء في صدام بين قوّات الفرسان[65]. ويروى أيضاً أن سكّان البسبور يطمرون دوالي العنب شتاء تحت طبقة

سميكـة مـن الـتراب. وحسـب الروايـات أن الحـرّ يبلـغ هنـا مسـتويات عاليـة جـدّاً، وربّمـا يكون سبب هذه الروايات عائداً إلى كون جسم السـكّان هنـا لم يعتـد مثـل هـذا الحـرّ كلّه، أو لأنّ الرياح في السـهول كانـت سـاكنة عندئـذٍ، أو لأنّ الهواء الكثيـف يسـخن أكثـر، كمـا تفعـل «الشـموس الكاذبـة»[66] في السـحب. ويبـدو علـى أرجـح تقـدير أن أكثر برابرة هذه المنطقة كانوا تحت سلطة أتيـوس الذي حارب فيليب ابن أمينتا.

19- وراء الجزيـرة[67] الـتي تقـع أمـام البوريسـفين باتجـاه مطلـع الشـمس، تمـرّ طريق بحرية تؤدّي إلى رأس إيبودروم أخيلليس البحرية، وهي مكان على الرغم مـن أنـه خـال مـن أي نباتـات، إلاّ أنـه يـدعى «الـدّغل» المكـرّس لأخيلليـس. ثـمّ يـأتي بعـد ذلـك إيبودروم أخيلس، وهي شبه جزيرة ثابتة. وهذه عبـارة عـن شـريط ضيّق من الأرض يمتدّ شـرقاً بطـول يقـارب 1000 مرحلـة؛ عرضـها الأقصـى مرحلتـان، والأدنـى 4 بليفـرات[68]؛ وتبعد عن القارّة 60 مرحلة على جانبي البرزخ. وهـي غـور رملـي ضحـل يسـتخرج المـاء منـه بحفر آبار. ويقع الشطر الضيّق من البرزخ عند الوسـط، ويبلـغ عرضـه حوالي 40 مرحلـة. وتنتهي شبه الجزيرة برأس بحرية تدعى تاماراكـا، حيث يقع مرسى شـراعي يتّجـه نحـو القارّة. ويأتي بعد هذه الـرأس الخليـج الكـاركينيتي؛ وهـو خليـج كـبير جـدّاً يمتـدّ نحـو الشمال ما يقارب 1000 مرحلة. لكـنّ بعضـهم يؤكّـد أن المسـافة حتّـى منخفض الخليـج نفسه أكبر بثلاث مرّات. والقبيلة التي تقطن هنا تدعى قبيلـة التـافريين. ويـدعى الخليـج بدوره باسم الـرأس البحرية: خليج تاماراكـا[69].

الفصل الرابع

1- يقع هنا البرزخ[1] الذي يفصل البحيرة التي تسمى سابرا[2] عـن البحـر؛ عرضـه 40 مرحلـة ويشـكّل مـا يـدعى كيرسـونيس التافريـة أو السـكيثية. وحسـب بعضـهم أن عرض هذا البرزخ 360 مرحلة. ومع أن امتداد بحيرة سابرا 4000 مرحلـة، كمـا يقولـون، إلاّ أنها نفسها ليست سوى جزء من ميوتيدا الـذي يصلها بـه ثغـر عـريض. وهـو مسـتنقعي جـدّاً وبالكـاد صـالح للقـوارب المصـنوعة مـن الجلـود، لأنّ الريـاح تكشـف الأمـاكن الضحلة فيـه، ثـمّ تغمرهـا بالميـاه مـن جديـد؛ ولـذلك فـإن المسـتنقعات عصـية علـى السـفن الكـبيرة. وتقـع في الخليـج ثـلاث جـزر، وهنـاك علـى طـول الشـاطئ عـدد مـن الأمـاكن الضحلة وقليل من الحجارة تحت المياه.

2- لدى الخـروج مـن الخليـج، وعلـى جهتـه اليسـرى، ثمّـة مدينـة صغيرة وخليـج[3] آخر للكيرسونيسيين. وإذا ما أبحرت إلى الأمام على طول الساحل، تعقب رأس بحرية[4] كـبيرة تمتـدّ في عمـق البحـر نحـو الجنـوب، وتشـكّل هـذه الـرأس جـزءاً لا يتجـزأ مـن

كيرسـونيس[5]. وتقـع في هـذا المكـان مدينـة الهيراقلـيين (مسـتعمرة الهيراقلـيين علـى البونتس)[6]، الـتي بـدورها تسـمّى كيرسـونيس، وإذا أبحـرت علـى طـول السـاحل، فهـي تبعد 4400 مرحلة عـن تـيراس. ويقـوم في المدينـة معبـد ديفـا[7] (معبـودة مـا). وعلـى مسـافة 100 مرحلة أمام المدينـة تقـع رأس بحرية تـدعى باسـم هـذا المعبـود: بـارثينيوس[8]، ويقـوم هنا أيضاً معبـد لهذا المعبـود وتمثالـه. وهنـاك ثلاثـة مـراس بـين المدينـة والـرأس. تلـي ذلـك كيرسونيس القديمة الراقـدة تحـت أنقاضـها، ثـمّ مرسـى ذو مـدخل ضـيّق، حيـث كـان التـافريون (قبيلـة سـكيثية) يجمعـون عصـاباتهم عـادة، ويغيّـرون مـن هنـاك علـى الـذين ينجون ويلجؤون إلى هنـا. ويـدعى هـذا المرسـى سـيمبولون ليمين[9]، ويشـكّل مـع مرسـى آخر يدعى كتينونت[10] برزخـاً في 40 مرحلـة. إن هـذا البـرزخ الـذي يغلـق الكيرسـونيس الصغيرة، كمـا قلـت، يشكّل جزءاً من الكيرسونيس الكبيرة، مع مدينـة كيرسـونيس التي تحمل اسم شبه الجزيرة.

3- لقـد كانـت هـذه المدينـة[11] مدينـة مسـتقلّة، لكنّهـا تعرضـت للنهـب والسـلب علـى أيدي البرابـرة، فوجـدت نفسـها مرغمـة علـى اختيـار ميتريـدات إيفبـاتور حاميـاً لهـا، وقد عزم هذا الأخير على أن يتزعم البرابرة الذين كانوا يقطنـون وراء البـرزخ[12] وصـولاً إلى البوريسـفين وأدريـوس. وكانـت مسـاعي ميتريـدات تلـك تجـري في إطـار اسـتعداداته للحملة ضدّ الرومان. وهكذا أرسل ميتريدات محلقاً على أجنحة هـذه الآمـال العريضـة، قواتـه ضـدّ كيرسـونيس، وبـدأ في الوقـت نفسـه حربـه ضـدّ السـكيثيين، ولـيس ضـدّ سـكيلور وحده، إنما ضـدّ أبنـاء هـذا الأخير أيضـاً- ضـدّ بـالاك وسـواه (عـددهم بحسـب بوسيدونيوس 50، وحسب أبوللونيدس 80). وفي ذلك الوقت نفسـه تمكـن ميتريـدات مـن أن يخضعهم كلّهم بالقوّة ويغدو سيّد البسبور، إذ تنازل لـه سـيّد هـذه المنطقـة باريسـاد، عنهـا طوعـاً. ومنـذ ذلـك التـاريخ حتّـى يومنـا هـذا، ومدينـة كيرسـونيس خاضـعة لسـلطة حكّام البسبور. ويقع مرسى كتينونت علـى مسـافة واحـدة مـن مدينـة الكيرسونيسـيين وسيمبولون ليمين. وبعـد سـيمبولون ليمين حتّـى مدينـة فيودوسـيا يمتـدّ السـاحل التـافري بطـول يقـارب 1000 مرحلـة. وهـذا السـاحل سـاحل صـخري، جبلـيّ ومعـرّض لعواصـف شديدة من جهـة الشـمال. وتقـع أمـام السـاحل التـافري رأس بحريـة تـبرز عميقـاً في عـرض البحـــر نحـــو الجنـــوب باتجـــاه بافلاغونيـــا ومدينـــة أماســـتريدس، وهـــي تـــدعى كريوميتوبون[13]. وتقـوم قبالتهـا الـرأس البحريـة البافلاغونيـة كـارامبيوس الـتي تقسـم البـونتس الإيفكسـيني إلى بحـرين يضـيّق عليهـا مـن الجـانبين مضـيق[14]، يقـع علـى بعـد 2500 مرحلـــة مـــن مدينـــة الكيرسونيســـيين كـــارامبيوس، وأقـــرب بكـــثير إلى كريوميتوبـون. وفي الأحـوال كلّهـا فـإن كـثيراً مـن البحـارة الـذين عـبروا هـذا المضـيق،

يقولون إنهم رأوا الرأسين في وقت واحد على الجانبين. وفي منطقة التافريين الجبلية يقع جبل ترابيزونت الذي يحمل اسم المدينة التي تقع على مقربة من تيبارانيا وكولهيدا. وعلى مقربة من هذه المنطقة الجبلية يرتفع جبل آخر، هو جبل كيميريوس [الذي دعي بهذا الاسم]، لأنّ الكيميريين سادوا على البسبور في زمن ما. ولذلك فإن شطراً كاملاً من المضيق[15]، هو الشطر الذي يمتدّ حتّى ثغرميوتيدا، يدعى البسبور الكيميري.

4- وتقع وراء المنطقة الصخرية المذكورة، مدينة فيودوسيا. وتشغل المدينة سهلاً خصباً ولها ميناء تستطيع استقبال مئة سفينة. وكانت هذه الميناء من قبل حدّاً بين أرض البسبوريين والتافريين. والمنطقة التي تلي، هي منطقة خصبة بدورها حتّى بانتيكابيوس، التي تعدّ عاصمة البسبوريين، وهي تقع عند ثغر ميوتيدا. والمسافة بين فيودوسيا وبانتيكابيوس 530 مرحلة؛ وتعدّ هذه المنطقة كلّها موئلاً لزراعة الأقماح؛ وفيها قرى ومدينة فيها ميناء رائعة اسمها نيمفييوس. وبانتيكابيوس عبارة عن تلّ مسكون من جهاته كلّها بمحيط يبلغ امتداده عشرين مرحلة. وتقع في الجهة الشرقية من المدينة ميناء وترسانة لإصلاح السفن تتسع ما يقارب 30 سفينة؛ ويوجد هناك أكروبوليس أيضاً. وقد بنى الميلتوسيون هذه المدينة. وعلى امتداد زمن طويل حكم في المدينة والقرى المجاورة الواقعة قرب ثغرميوتيدا على الجانبين، حكّام مثل ليفكون، وساتير، وباريساد، إلى أن تنازل هذا عن سلطاته لميتريدات. وقد دعي هؤلاء الحكّام بالتيرانيين، مع أن أكثرهم ابتداء من باريساد وليفكون كانوا حكّاماً يستحقّون أن يحكموا، بل لقد بجّلوا باريساد بصفته إله[16]. وآخر تيران كان يدعى باريساد أيضاً[17]؛ وكان هذا عاجزاً عن مواجهة البرابرة الذين طالبوا بإتاوة أكبر من التي كانت تؤدى لهم من قبل، ولذلك وجد باريساد هذا نفسه مضطراً إلى التنازل عن السلطة لميتريدات إيفباتور. ومنذ زمن ميتريدات باتت المملكة تحت سلطة الرومان. ويقع الشطر الأكبر من أراضيها في أوروبا، بيد أن شطراً آخر يقع في آسيا.

5- إن ثغر ميوتيدا يدعى البسبور الكيميري. والثغر أكثر عرضاً في بدايته: حوالي 700 مرحلة؛ ومن هنا يتوجهون من منطقة بانتيكابيوس إلى فاناغوريا، وهي أقرب مدينة في آسيا؛ ثمّ ينتهي الثغر بمضيق أكثر ضيقاً. وهذا المضيق ومعه نهر تانايس الذي يجري مباشرة من الشمال إلى البحيرة ثمّ إلى مصبّه، يفصلان آسيا عن أوروبا. ويصبّ نهر تانايس في البحيرة بمصبّين يبعد واحدهما عن الآخر 60 مرحلة. وتقع هناك مدينة[18] تحمل اسم النهر نفسها، وهي المدينة الأكبر بعد بانتيكابيوس إيمبوريوس البرابرة. وعند مدخل البسبور الكيميري على اليسار تقع مدينة صغيرة هي مدينة ميرميكي التي تبعد 20 مرحلة عن بانتيكابيوس. وعلى بعد ضعف هذه المسافة

من بانتيكابيوس تقع بلدة بارثيني؛ والمدخل هنا هو الأكثر ضيقاً: حوالي 20 مرحلة؛ وقبالة هذه البلدة في آسيا تقع بلدة تدعى أخيللوس[19]. ومن هنا بطريق بحرية مباشرة إلى تانايس والجزيرة[20] الواقعة على مصبّه، 2200 مرحلة؛ ولكن إذا أبحرنا على طول ساحل آسيا، فإن المسافة تزيد قليلاً؛ أمّا إذا أبحرنا يساراً على طول الساحل حتّى تانايس، حيث يقع البرزخ، فإن المسافة أكبر بأكثر من ثلاث مرّات؛ وهذا الساحل كلّه على الجانب الأوروبي مقفر، لكنّ الساحل على جهة اليمين ليس خالياً من البشر. وحسب الأخبار المنقولة أن محيط البحيرة كلّه يشكّل 9000 مرحلة. وكيرسونيس الكبرى تشبه البيلوبونيز من حيث الشكل والحجم. ويمتلك كيرسونيس حكّام البسبور[21] مع أن الحروب المتواصلة دمّرت هذه المنطقة وأفقرتها. ولم يمتلك هؤلاء من قبل سوى شطر صغير من البلاد الواقعة عند ثغر ميوتيدا وبانتيكابيوس حتّى فيودوسيا، أمّا الشطر الأكبر حتّى البرزخ والخليج الكاركينيتي، فقد شغلته قبيلة التافريين السكيثية. إن هذه البلاد، وكذلك كلّ المنطقة الواقعة وراء البرزخ حتّى البوريسفين تقريباً، دعيت باسم سكيثيا الصغرى. ولكن، لأنّ كثرة من الناس نزحت من سكيثيا الصغرى عبر تيراس وإيستر وسكنت في تلك البلاد، فقد دعي شطر كبير من تراقيا باسم سكيثيا الصغرى أيضاً، خاصة أن التراقيين تراجعوا أمّا الوافدون الغرباء، فأذعنوا للقوّة أحياناً، وأحياناً أخرى بسبب سوء حالة الأرض، لأنّ الشطر الأكبر من البلاد تغطّيه المستنقعات.

6- ماعدا المنطقة الساحلية الجبلية التي تمتدّ حتّى فيودوسيا، فإن ما تبقى من كيرسونيس كلّها عبارة عن سهل، وأرض خصبة وغنية، خاصة بالأقماح. وفي الأحوال كلّها فإن الحقل المحروث بأوّل سكّة محراث كانت، يعطي محصولاً بثلاثين مقداراً. فقد كان سكّان هذه البلاد والمناطق الآسيوية الواقعة على مقربة من سينديكا، يؤدون إتاوة لميتريدات قدرها 180.000 ميديمن[22]، و200 تالانت من الفضّة. ومنذ القدم كانوا يحملون الأقماح من هنا إلى الإغريق، كما كانوا يوردون أيضاً الأسماك المملحة من ممالح البحيرة. ويروى أن ليفكون أرسل من فيودوسيا إلى الأثينيين 2.100.000 ميديمن[23]. لقد كان الشعب الكيرسونيسي يدعى بالشعب «الجيورجي»[24] بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة، لأنّ القبيلة السكيثية التي كانت تقطن إلى الأعلى منه، كانت قبيلة رحّل؛ ولم تستهلك هذه الأخيرة في طعامها اللحوم على وجه العموم، بل لحم الخيل تحديداً، إضافة إلى الجبن المصنوع من اللبن المخمر، والحليب، والعيران؛ وبطريقة خاصة كانوا يحضّرون من هذا الأخير نوعاً من الحلوى. ولهذا دعا هوميروس سكّان هذه المنطقة من العالم كلّهم، باسم «غلاكتوفاغيين»[25]. والحقيقة أن الرحل هم مقاتلون

أكثر منهم قطاع طرق، فكلّهم يحارب بسبب الإتاوة. وفعلاً إن هـؤلاء يعطون أراضيهم لكل من يريد أن يحرثها ويزرعها، ويرضون إذا ما حصلوا لقاء ذلك على بدل متفق عليه، وعادة ما يكون البدل الذي يطلبونه معتدلاً ليس الغرض منه الإثراء، بل تلبية متطلبات العيش اليومي. ولكنّ الرحل يحاربون أولئك الذين لا يدفعون لهم المال. ولذلك وصف هوميروس هؤلاء الناس بأنهم «عادلون» و«فقراء»[26]. وفي واقع الأمر، لو دفع لهم ريع صحيح عن الأرض، لما بادروا إلى الحرب يوماً. ولكنّ الذين يثقون بأنهم على مستوى من القوّة يمكنهم من صدّ المهاجمين ومنع اجتياحهم، لا يدفعون الريع المتفق عليه. وهذا ما فعله، بحسب ما يروي هيبسيكرات، أساندرس الذي بنى على برزخ كيرسونيس قرب ميوتيدا سوراً عرضه 360 مرحلة، وأقام على كلّ مرحلة 10 أبراج. وفيما يخصّ «الجيورجيين» الذين يعيشون في هذه المنطقة، فإنهم يعدّون أكثر مرونة وفي الوقت نفسه أكثر تحضراً، بيد أنهم طمّاعين ويعملون في المهن البحرية، ولذلك فإن النهب والسلب وما شابه من أعمال الظلم التي ينتجها الجشع ليست غريبة عنهم.

7- وما عدا المناطق المذكورة، ثمّة في كيرسونيس حصون شيدها سكيلور وأبناؤه. وهذه الحصون، هي بالاكي، وهاب، ونابولي التي شكّلت نقاط استناد له في مواجهة ميتريدات. وكانت هناك قلعة أخرى، هي قلعة إيفباتوري[27]، التي أسّسها ديوثانتوس عندما كان قائداً لجيوش ميتريدات. وهذه عبارة عن رأس بحرية تبعد حوالي 15 مرحلة عن أسوار الكيرسونيسيين التي تشكّل خليجاً كبيراً يتّجه نحو المدينة. ويقع فوق هذا الخليج خور، حيث تقع ملاّحة. وكان يقع هنا أيضاً مرسى كتينونت. ولكي يصمد الذين حاصرهم الملك هنا، وضعوا على الرأس المذكورة مجموعة حراسة؛ فحصنوا المكان وطمروا مدخل الخليج حتّى المدينة، بحيث بات من الممكن الوصول إليها سيراً على الأقدام، وتشكّلت من المدينتين بطريقة ما مدينة واحدة. ومنذ ذلك التاريخ بات من السهل بالنسبة لهم صدّ السكيثيين. وعندما هاجم هؤلاء السور المبني عبر البرزخ عند كتينونت، وشرعوا يطمرون الخندق بالقش، عمد جنود الملك إلى إشعال النار ليلاً بالشطر الذي بني ليلاً من الجسر، وصدوا هجوم العدوّ إلى أن نجحوا أخيراً بإلحاق الهزيمة به. وتقع هذه البلاد كلّها الآن تحت سلطة ملوك البسبور الذين يعينهم الرومان.

8- وما يتميّز به السكيثيون والسارماثيون كلّهم، هو أنهم يخصون جيادهم لكي تغدو أكثر انقياداً. وفعلاً، على الرغم من أن جيادهم صغيرة القامة، إلا أنها مطواعة وغيورة. وفي المستنقعات يصيدون الأيائل والخنازير البرية، وفي السهول يصيدون الحمير البرية والغزلان. وما يلفت الانتباه أن النسر لا وجود له في هذه الأماكن. ومن

ذوات الأربعة يلقانا هنا حيوان يدعى «كولوس»[28]، وهو من حيث الحجم كائن ما بين الأيل والكبش، أبيض اللون، وأسرع منهما عدواً؛ يعب الماء في رأسه عبر فتحتي أنفه ويحتفظ به هناك لعدّة أيام، ولذلك ليس صعباً عليه أن يعيش في مناطق لا ماء فيها. على هذا النحو هي البلاد الواقعة وراء الإيستر بين نهر الرين ونهر تانايس حتّى بحر البونتس وميوتيدا.

الفصل الخامس

1- لقد بقي لنا أن نصف شطر أوروبا على هذا الجانب من الإيستر والبحر المحيط به؛ وهو يبدأ من منخفض البحر الأدرياتيكي ويمتدّ حتّى مصبّ الإيستر المقدّس[1]. وفي هذه المنطقة تقع اليونان وقبائلها المقدونية والإيبيرية، وكلّ الأقوام التي تقطن إلى الأسفل منها والتي تمتدّ أراضيها حتّى الإيستر والبحرين الواقعين على الجانبين: البحر الأدرياتيكي وبحر البونتس؛ وتجاور البحر الأدرياتيكي الأقوام الإيلليرية، وتجاور البحر الآخر وصولاً حتّى بروبونتيدا والهلسبونت، الأقوام التراقية وبعض قبائل السكيثيين والسلت التي تخالطت معها. ويتأتّى لنا أن نبدأ من الإيستر لنتحدّث عن البلدان التي تلي مباشرة تلك التي وصفناها. وهذه البلدان، هي البلدان التي تجاور إيطاليا، والألب، ومناطق الجرمان، والداكيين، والجيتيين. ويمكن تقسيم هذه المنطقة [2] إلى قسمين، لأنّ الجبال الإيلليرية، والبيونية، والتراقية توازي بشكل ما الإيستر، وتشكّل ما يشبه الخطّ الواحد الذي يمتدّ من البحر الأدرياتيكي وصولاً إلى البونتس. وإلى الشمال من هذا الخطّ تقع الأجزاء التي بين الإيستر والجبال، وإلى الجنوب منه تقع اليونان والبلاد البربرية المجاورة لها، والتي تمتدّ إلى هذه البلاد الجبلية. وغير بعيد عن البونتس يرتفع جبل جيموس، وهو الجبل الأكبر والأعلى في هذا الجزء من العالم، ويقطع جيموس تراقيا في الوسط تقريباً. وحسب بوليبيوس أن البحر يظهر للعين من فوق هذين الجبلين، ولكنّ هذا غير صحيح: المسافة إلى البحر الأدرياتيكي عظيمة جدّاً، وأشياء كثيرة تعترض الأفق. فعلى مقربة من الأدرياتيكي تقع آرديا[3] كلّها تقريباً، وفي الوسط تقع بيونيا، وهي بلاد مليئة بالجبال العالية. وتحدّ بيونيا الجبال من الجانبين: بالاتجاه نحو الجانب التراقي يرتفع جبل رودوبا، وهو الجبل الأعلى بعد جيموس، وعلى الجانب الآخر في الاتجاه نحو الشمال، تقع الأجزاء الإيلليرية، ومنطقة الأفتارياتيين والداردانيين[4]. وسأبدأ الآن وصف إيلليريا بدءاً من أجزائها التي تجاور إيستر، وشطر الألب الواقع بين إيطاليا وجرمانيا والذي يبدأ من بحيرة[5] في منطقة الويندليكيين، والريتيين والتويغينيين[6].

2- لقد دمّر الداكيون ونهبوا شطراً كبيراً من هذه البلاد بعد انتصارهم على البويين والتاورسكيين- وهم قبائل سلتية خاضعة لكريتاسير[7]. وقد عدّ الداكيون هذه البلاد لهم، مع أن نهر باريس[8] يفصل بينها وبينهم، وهو يجري من الجبال ويصبّ في الإيستر غير بعيد عن منطقة السكورديسكيين، الذين يدعون غلاطيين؛ فهؤلاء أيضاً عاشوا بالتعاقب مع الأقوام الإيلليرية والتراقية[9]. ولكنّ الداكيين استأصلوا البويين والتاوريسكيين؛ بيد أنهم غالباً ما أقاموا تحالفات مع السكورديسكيين. وما تبقى من البلاد، وصولاً إلى سيغيستيكا، مدينة البانونيين التي تقع عند ملتقى عدد من الأنهار (كلّها صالح للملاحة)، وقد وهبت الطبيعة نفسها هذه المدينة موقع نقطة الاستناد في الحرب مع الداكيين، لأنها تقع عند سفح ذلك الجزء من الألب الذي يمتدّ حتّى منطقة اليابوديين الذين ينتمون إلى قبيلة سلتية وإيلليرية مشتركة. وتجري من هنا أنهار ينقلون فيها إلى سيغيستيكا بضائع كثيرة من مختلف البلدان، ومن إيطاليا. وإذا ما عبرت جبل أوكرا من أكويليا إلى ناوبورت، وهي مستوطنة للتاوريسكيين، إلى حيث تتّجه المركبات المحملة بالبضائع، فإن المسافة 350 مرحلة (مع أن بعضهم يحسبها 500). وأوكرا، هو أدنى جزء من الألب ابتداء من منطقة الريتيين حتّى بلاد اليابوديين. ومن هنا تبدأ الجبال تعلو من جديد في منطقة اليابوديين، وهي تدعى بالألبية. وعلى النحو نفسه يوجد معبر عبر أوكرا من ترجيستوس، المستوطنة الكارية، إلى البحيرة المستنقعية التي تحمل اسم لوجي. وغير بعيد عن ناوبورت يجري نهر كوركورا الذي ينقلون عبره شحنات البضائع. ويصبّ هذا النهر في نهر ساف، ويصبّ هذا الأخير في دراب، ويصبّ دراب في نوار[10] على مقربة من سيغيستيكا. ومن هنا يغدو نوار غزير الماء إذ يستقبل مياه نهر كولابيس الذي يجري من جبال الألب عبر منطقة النابوديين ويلتقي مع الدانوب على مقربة من بلاد السكورديسكيين. ويتّجه الإبحار في هذه الأنهار شمالاً بشكل رئيس. وطول الطريق من ترجيستوس إلى الدانوب 1200 مرحلة. وعلى مقربة من سيغيستيكا على الطريق إلى إيطاليا يقع حصنا سيسكيا وسيرمي.

3- أمّا قبائل البانونيين فهي [الآتية]: البريفكيون والأنديزتيون، والديتيونيون، والبيروستيون؛ إضافة إلى المازيين، والديستيانيين (زعيمهم باتون)، وسواهم من الأقوام الأخرى الأقلّ أهمية، الذين تصل مناطقهم حتّى دالماسيا، وفي الجنوب حتّى أرض الأرديين تقريباً. وكلّ الأرض التي تبدأ من منخفض البحر الأدرياتيكي وصولاً إلى الخليج الريزوني وأرض الأرديين، هي إيلليريا التي تنحدر بين البحر وأرض القبائل البانونية. ومن هنا تقريباً ينبغي أن نبدأ وصفاً جغرافياً مترابطاً، مع شيء من تكرار ما كنّا قد قلناه من قبل[11]. فلدى وصفي لإيطاليا قلت، إن الإيستريين يأتون أولاً على

الساحل الإيلليري، وبلادهم تجاور إيطاليا ومنطقة الكارنيين، ولذلك فإن حكّام إيطاليا المعاصرون مدّوا أراضي هذه الأخيرة حتّى مدينة بولا الإيسترية. وتقع هذه الحدود على بعد حوالي 800 مرحلة من منخفض البحر الأدرياتيكي؛ ومثل هذه المسافة من الرأس البحرية الواقعة أمام بولا إذا ما جئت أنكونا تاركاً منطقة الجينيتيين على يمينك. ويبلغ امتداد الطريق البحرية كلّها على طول ساحل إيستريا 1300 مرحلة.

4- تلي ذلك مباشرة طريق بحرية طولها 1000 مرحلة تمتدّ على طول ساحل بلاد اليابوديين. فاليابوديون يقطنون جبلاً ألبيّاً؛ وهو آخر جبال الألب، ومن أعلاها. وتمتدّ بلاد اليابوديين حتّى أرض البانونيين ونهر إيستر من جهة، والبحر الأدرياتيكي من الجهة الأخرى. وقد تميّزت هذه القبيلة بعدوانيتها، إلا أنّ أغسطس أضعفها الآن تماماً. ومدنهم هي: ميتول، وأروبينا، ومونيتيوس، ووينـدون. وليست هذه المنطقة منطقة خصبة، فسكّانها يقتات أكثرهم على الحنطة الرومية والدخن. وتسليحهم تسليح سلتيّ؛ ومثلهم مثل باقي الإيلليريين والتراقيين، يستخدم اليابوديون الوشم. وبعد الإبحار على طول ساحل اليابوديين، تأتي طريق على طول السواحل الليبورنية، وهي طريق أطول من الأولى بـ 500 مرحلة. ويلاقينا على هذه الطريق نهر[12] صالح للملاحة تبحر فيه سفن شحن البضائع صعوداً حتّى منطقة الدالماسيين ومدينة سكاردون الليبورنية.

5- وعلى طول الساحل المذكور تقع جزر: أولاً، أبسرتيدس، حيث تقول الروايات، إن ميديا قتلت هناك أخاها أبسرتس الذي كان يلاحقها، تليها جزيرة كيريكتيكا الواقعة على مقربة من بلاد اليابوديين، ثمّ جزر ليبورنيدس، وعددها الإجمالي حوالي 40 جزيرة؛ ومن ثمّ الجزر الأخرى التي تشتهر منها جزيرة إيسا، وتراغوريوس (التي أسّسها سكّان إيسا)، وفاروس (وكانت تدعى من قبل باروس، وقد أسّسها الباروسيون)، وإليها ينتمي ديمتري الفاروسي. ثمّ يلي ذلك ساحل الدالماسيين ومرسى سالون الشراعي. وهذه القبيلة هي واحدة من القبائل التي حاربت الرومان طويلاً. وقد كان للدالماسيين ما يقارب الخمسين مستوطنة كبيرة، بل وعدد من المدن أيضاً، مثل سالون، وبريامون، ونينيا، وسينونيوس القديمة والجديدة؛ ولكنّ أغسطس أطعمها [كلّها] للنيران. وإضافة إلى هذا يقع هنا حصن أنديتريوس، وكذلك دالميوس، وهي مدينة كبيرة سميت على اسمها القبيلة. ولكنّ ناسيكا[13] حوّلها إلى مدينة صغيرة بسبب وحشية سكّانها، وجعل من أراضيها مرعى للأغنام. وعند الدالماسيين تقليد يعيدون بموجبه توزيع الأرض من جديد كلّ سبع سنوات. أمّا ما يقال عن إنه ليس لدى هذه القبيلة مسكوكات نقدية في التداول، فهو صحيح، فسمتهم الخاصة بالمقارنة مع باقي الشعوب التي تعيش على هذا الساحل، هي التقليد المشترك مع كثير من

البرابرة الآخرين. ويقطع جبل أدريوس بلاد الدالماسيين في الوسط، فشطر منها ساحليّ، والشطر الآخر يتّجه نحو الجهة المعاكسة. ويأتي بعد ذلك نهر نارون والشعوب التي تعيش حوله: الداوريزيون، والأرديون، والبليريون. وعلى مقربة من هؤلاء الأخيرين تقع جزيرة تحمل اسم كوركيرا السوداء، ومدينة[14] أسّسها الكنيديانيون؛ وعلى مقربة من الأرديين، تقع فاروس التي كانت تدعى من قبل باروس، لأنّ الباروسيين سكنوها.

6- وقد دعي الأرديون فيما بعد وارديين. ودفع بهم الرومان عن الساحل إلى عمق البلاد (لأنهم كانوا يمارسون القرصنة البحرية)، وأرغموهم على العمل بالزراعة. ولكنّ هذه البلاد بلاد صخرية، وقاحلة وغير صالحة للعمل الزراعي، وهذا ما أفضى إلى إفلاس هذه القبيلة تماماً، ثمّ إلى اندثارها تقريباً. وفعلاً، إن أكثر القبائل التي كانت من قبل قوية، قد انهارت الآن تماماً أو اندثرت؛ فبين الغلاطيين مثلاً، اندثر البويون والسكورديسيون، واندثر بين الإيلليريين، الأفتارياتيون، والأرديون، والداردانيون، وبين التراقيين اندثر التريباليون؛ وفي الأول عانى هؤلاء من الحروب الأهلية، وفيما بعد، من الصدامات مع المقدونيين والرومان.

7- بعد الساحل الذي يشغله الأرديون والبليريون، يأتي الخليج الريزوني، ومدينة ريزون ومدن صغيرة أخرى، وكذلك نهر دريلون الصالح للملاحة في مجراه الأعلى نحو الشرق وصولاً إلى المنطقة الداردانية. وتتجاور هذه الأخيرة من الجنوب مع القبائل المقدونية والبيونية، على النحو الذي يتجاور فيه بعضهم مع بعض الأفتارياتيون والداساريتيون- قبائل شتّى- من مختلف الجهات. وينتمي إلى الداردانيين أيضاً، الغالابريون[15] الذين عندهم مدينة قديمة[16]، والفوناتيون الذين تتجاور بلادهم من جهة الشرق مع منطقة قبيلة الميديين التراقية. ومع أن الداردانيين كانوا متوحّشين تماماً، حتّى أنهم كانوا يحفرون كهوفاً تحت النفايات ويقيمون فيها، إلا أنهم أظهروا اهتماماً بالموسيقا، وعزفوا على آلات موسيقية: على الناي وآلات وترية. وتسكن هذه القبيلة في المنطقة الداخلية، وسوف أتحدّث عنها لاحقاً.

8- بعد الخليج الريزوني تأتي مدن ليس، وأكروليس، وإيبيدامنوس التي أسّسها الكوكيريون، وهي التي تدعى الآن ديراخيوس على اسم شبه الجزيرة التي تقع فيها. ثمّ يأتي نهر أبس ونهر آوي حيث تقع أبوللونيا المدينة التي فيها بناء دولة راق أسّسه الكورونثيون والكوركيريون؛ وتقع هذه المدينة على بعد 10 مراحل عن النهر، و60 مرحلة عن البحر. ويدعو هيكاتوس نهر آوي باسم إيانتوس[17]، ويقول، إن إيناخوس وإيانتوس ينبعان من المكان نفسه في منطقة لاكمون، والأصح القول، إنهما ينبعان من

المنخفض العميق نفسه، فيجري إيناخوس في آرغوس جنوباً، ويجري إيانتوس غرباً إلى البحر الأدرياتيكي. وفي منطقة الأبوللونيين مكان يدعى نيمفيه، وهي صخرة تنفث ناراً، وتجري من تحتها ينابيع مياه دافئة، وإسفلت ربّما يكون ناتجاً عن احتراق كتل إسفلتية موجودة في جوف الأرض. وعلى مقربة ثمّة تلّ فيه منجم إسفلت بعد أن يستهلك يعود ليمتلئ من جديد، لأنّ التراب المطمور في حفرة يتحوّل بحسب ما يقول بوسيدونيوس، إلى إسفلت. ويذكّر بوسيدونيوس أيضاً، بالتربة التي تحتوي على الإسفلت، والتي تستخرج من كروم العنب في سلوقيا بيريا، كوسيلة دوائية ضدّ طفيليات دوالي العنب. فإذا ما طليت الدوالي بخليط من التراب الإسفلتي وزيت الزيتون، فإنه يقتل الحشرات[18] قبل أن تصعد إلى الفروع. ويقول بوسيدونيوس أيضاً، إن التربة التي لها هذه الخاصيات عثر عليها في رودوس أيضاً (عندما كان يشغل هو هناك منصب الحاكم)، لكنّها هنا تحتاج إلى مزيد من زيت الزيتون. وبعد أبوللونيا تأتي بيلياكا وأوريك بمرسلها الشراعي بانورم، ثمّ الجبال الكيرافنية، فبداية ثغر الخليج الإيوني والخليج الأدرياتيكي.

9- ولهذين الخليجين ثغر مشترك واحد، لكنّ الخليج الإيوني يتميّز بأن هذا الاسم لا يحمله سوى الشطر الأول من هذا البحر، بينما «الأدرياتيكي»، هي تسمية الشطر الداخلي من البحر وصولاً إلى منخفض الخليج؛ وعلى أي حال فإن البحر كلّه يحمل هذا الاسم الآن. وحسب ثيوبومبوس، أن الأولى من هذه التسميات جاءت من رجل ينتمي إلى أيسّا حكم هذه الأرض في زمن ما، بينما دعي البحر الأدرياتيكي باسمه هذا وفق اسم نهر[19]. ومن منطقة الليبورنيين حتّى الجبال الكيرافنية أكثر من 2000 مرحلة بقليل. وكان ثيوبومبوس قد حدّد مسافة الطريق البحرية كلّها من منخفض الخليج نفسه بستة أيام، ولكنّه رأى أن امتداد البلاد الإيليرية براً يستغرق ثلاثين يوماً، ولكنّي أرى أنه يبالغ في هذا كثيراً. كما أنه ينقل في حالات أخرى أخباراً غير صحيحة مثل: أولاً، إن البحرين[20] يتّصلان بقنوات جوفية، [ويستنتج هذا] من حقيقة أن نهر نارون فيه آنية كيوسية وفاسوسية فخارية؛ ثانياً، يؤكّد أنه يمكن رؤية البحرين من فوق جبل[21] ما؛ ثالثاً، وفق حساباته أن بعض جزر ليبورنيدس [كبيرة إلى درجة]، أن امتداد محيطها يبلغ 500 مرحلة، وأخيراً يقول: إن أحد مصبّات الإيستر في البحر الأدرياتيكي. كما نلقى مثل هذه الأخطاء لدى إيراتوسفين أيضاً، وهي تستند إلى «تصوّرات قاصرة»[22] تلقاها السمع بشكل عابر (كما يصفها بوليبيوس في حديثه عن إيراتوسفين وغيره من المؤرّخين الآخرين).

10- إن الساحل الإيلليري كلّه غنيّ جداً بالمراسي والمرافئ، إن كان في القارّة أو في الجزر المجاورة، بينما على الساحل الإيطالي المقابل ظاهرة مغايرة: ليس عليه أيّ مراس أو مرافئ. ولكنّ الساحلين دافئين وخصبين، فينبت هنا شجر الزيتون، وكروم العنب، ما عدا بعض الأماكن حيث الطقس قاس جدّاً. ولكن على الرغم من خاصيات الساحل الإيلليري هذه، إلا أنه كان من قبل مهملاً، ربّما لأنهم لم يكونوا على علم بميزاته، لكنّ الأغلب أنه أهمل بسبب توحّش سكّانه ونزوعهم نحو أعمال القرصنة. إن كلّ البلاد الواقعة فوق هذا الساحل، هي بلاد جبلية، باردة وثلجية، خاصة الشطر الشمالي منها؛ ولذلك فإن كروم العنب هناك نادرة الوجود، إن على المرتفعات أو في الوديان. وهذه الأخيرة هي سفوح يشغلها البانونيون؛ وهي تمتدّ جنوباً حتّى منطقة الدالماسيين والأرديين، وتنتهي في الشمال عند الإيستر، أمّا في الشرق فإنها تجاور منطقة السكورديسكيين نحو الشطر الذي يمتدّ على طول الجبال المقدونية والتراقية.

11- لقد كان الأفتارياتيون القبيلة الإيلليرية الأكبر والأكثر شجاعة وإقداماً، وكانت قد أدارت قديماً حروباً متواصلة ضدّ الأرديين بسبب الممالح الواقعة في المنطقة الحدودية. ويرسّب الملح من المياه التي تجري في الربيع عند سفح أحد الوديان الجبلية. وإذا ما غرف الماء ثمّ وضع خمسة أيام ليترسب، فإن الملح يظهر على شكل بلورات. لقد توصلت القبيلتان إلى اتفاق قضى باستخدام الممالح بالدور، ولكن بما أنهما كانتا تنتهكان الاتفاق دائماً، فقد كانت الحروب تندلع بينهما دائماً. وفي زمن ما، أخضع الأفتارياتيون التريباليين (الذين تمتدّ منطقتهم من أرض الأغريانيين حتّى الإيستر على مسافة خمسة عشر يوماً سيراً على الأقدام)، وسادوا على القبائل التراقية والإيلليرية الأخرى. ولكنّ السكورديسكيين هزموهم، وكذلك فعل الرومان بعد ذلك، وقد أخضع هؤلاء بالقوة المسلحة السكورديسكيين أنفسهم الذين كانوا لزمن طويل أقوياء جدّاً.

12- لقد عاش هؤلاء الأخيرون على طول ضفتي الإيستر، وانقسموا إلى السكورديسكيين الكبار والسكورديسكيين الصغار. وقد سكن الأوائل بين نهرين يصبّان في الإيستر: نهر نوار الذي يجري على مقربة من سيغيستيكا، ونهر مارغ (بعضهم يدعوه بارغ). أمّا السكورديسكيون الصغار فقد عاشوا على الجانب الآخر من هذا النهر الأخير، مجاورين أراضي التريباليين والميسيسيين. وشغل السكورديسكيون عدداً من الجزر، وتمددوا على هذا النحو إلى أن بلغت ممتلكاتهم الجبال الإيلليرية والبيونية والتراقية. كما استولوا على أكثر جزر الإيستر. وكانت عندهم مدن مثل جيورتا وكابيدون. وبعد بلاد السكورديسكيين على طول الإيستر تأتي منطقة

التريباليين ومنطقة الميسيسيين (التي ذكرتها من قبل)[23]، ومستنقع ما يدعى سكيثيا الصغرى على هذا الجانب من الإيستر (وكنت قد ذكرتهم أيضاً)[24]. إن هذه الشعوب، كالكروبيزيين والتروغلوديتي، تقطن إلى الأعلى من منطقة تقع عند كالاتيوس، وتومي والإيستر. ثمّ تأتي القبائل التي تقطن حول جبل جيموس وعند سفوحه وصولاً إلى البونتس: الكوراليون، والبيسيون وفريق من الميديين، والدانفليتيين. إن هذه الشعوب كلّها تنزع نزوعاً شديداً إلى أعمال السلب والنهب، لكنّ البيسيين، الذين يشغلون الشطر الأكبر من جبل جيموس، يدعوهم قطاع الطرق أنفسهم، قطاع طرق. ويعيش هؤلاء في الأكواخ والكهوف عيشة ضنك وفقر مدقع؛ وتتجاور أرضهم مع جبل رودوبا، ومنطقة البيونيين وبلاد القبائل الإيلليرية: الأفتارياتيون، والداردانيون. وبينهم وبين الأرديين يعيش الداساريتيون والهيبريانيون[25] وشعوب أخرى ليست ذات أهمية، كان السكورديسكيون قد نهبوا أراضيها، قبل أن يدمّروا هذه البلاد وتمتلئ بأدغال عصية تمتدّ على طريق تستغرق عدة أيام سيراً على الأقدام.

الفصل السادس

1- من المنطقة الواقعة بين الإيستر والجبال على جانبي بيونيا، يبقى أيضاً الساحل البونتسي من مصبّ الإيستر المقدّس وصولاً إلى البلاد الجبلية عند جيموس وحتّى الثغر الذي عند بزنطا. وكما وصلت لدى وصفي للساحل الإيلليري حتّى الجبال الكيرافنية التي تخرج في حقيقة الأمر خارج حدود إيلليريا الجبلية، لكن لها مع ذلك حدودها، وكما حدّدت بهذه الجبال مواقع الشعوب في داخل البلاد (معتبراً أن هذا النوع من العلامات سيكون أكثر أهمية للوصف الراهن وللأعمال المستقبلية)، كذلك في هذه الحالة، مع أن هذا الساحل يخرج أيضاً خارج حدود الجبال، إلا أنه ينتهي عند حدوده، تحديداً عند ثغر البونتس الملائم للوصف الراهن وللوصف الذي يليه مباشرة. وهكذا إذا انطلقنا من المصبّ المقدّس لإيستر ملتزمين الجانب الأيمن دائماً على طول ساحل القارّة، فعلى بعده 500 مرحلة تلقانا بلدة إيستر التي أسّسها الميلتوسيون؛ ومن ثمّ على بعد 250 مرحلة منها تلقانا بلدة أخرى، هي بلدة تومي، وبعدها مدينة كالاتيوس على بعد 280 مرحلة، وهي مستعمرة الهيراقليين؛ تليها أبوللونيا على بعد 1300 مرحلة، وهي مستعمرة الميلتوسيين. ويقع الشطر الأعظم من هذه المدينة في إحدى الجزر الصغيرة حيث يقوم معبد أبوللون، ومن هنا حمل مارك لوكولا تمثالاً مهولاً لأبوللون[1] كان قد نحته كالاميدس، ووضعه لوكولا في الكابيتول. وتقع بين كالاتيوس وأبوللونيا مدينة بيزونا التي ابتلعت هزّة أرضية الشطر الأكبر منها، ثمّ

مدينة كروني وأوديس، وهي مستعمرة للميلتوسيين، ومدينة نافلوخ، وهي مدينة صغيرة للميسيمبريين. ويأتي بعد ذلك جبل جيموس الذي يمتدّ حتّى البحر الذي هنا؛ ثمّ تأتي ميسيمبريا، وهي مستعمرة الميغاريين التي كانت تدعى من قبل مينيبريا (أي مينابوليس، لأنّ مؤسّسها مينا؛ وbrias تعني بالتراقية «مدينة»؛ وعلى هذا النحو تدعى مدينة سيليس سيليبريا، وإينوس كانت تدعى في زمن ما بولتيوبريا)، وتليها مدينة صغيرة تدعى أنخيالا، وهي مدينة للأبولونيين، ثمّ تأتي أبوللونيا نفسها. وتقع على هذا الساحل رأس بحرية، هي تيريزيس: مكان حصّنته الطبيعة نفسها، وقد استخدمه في زمن ما ليسيماخ مخزناً للخزنة[2]. ومن أبوللونيا إلى الكيانيس حوالي 1500 مرحلة، وفي الفاصل تقع ثينيادس، وهي مكان للأبوللونيين (وأنخيالا أيضاً امتلكها الأبوللونيون)، وكذلك ثينوبوليس وأندرياكا المجاورتان لساليدس. وساليدس هو ساحل بحري صخري قاحل ليس فيه مراس، وهو مفتوح على اتساع أمام الريح الشمالية؛ ويمتدّ هذا الساحل على ما يقارب 700 مرحلة طولاً حتّى الكيانيس؛ ومن يقع هنا في كارثة بحرية ينهبه الآستيون، وهم واحدة من القبائل التراقية التي تقطن على هذا الساحل. والكيانيس جزيرتان صغيرتان عند مدخل البونتس: إحداهما أقرب إلى أوروبا، والأخرى إلى آسيا. ويفصل بينهما مضيق عرضه يقارب 20 مرحلة. والمسافة نفسها تفصلهما عن معبد البزنطيين ومعبد الخلكيدونيين[3]. وهذا المضيق هو أضيق قسم في ثغر البونتس الإيفكسيني. وفعلاً، إذا ما أبحرنا مسافة 10 مراحل، تلقاك رأس بحرية تشكّل مضيقاً عرضه 5 مراحل، ثمّ يتسع المضيق أكثر فأكثر فيبدأ البروبونتيدا.

2- ومن الرأس التي تشكّل خليج الخمسمئة عذراء حتّى المرسى الذي يدعى «تحت التينة» 35 مرحلة فقط؛ ومن هنا حتّى قرن البزنطيين 5 مراحل. والقرن هو خليج يجاور سور البزنطيين الذي يمتدّ نحو الغرب قرابة 60 مرحلة على شكل قرن الأيل. وينقسم الخليج إلى كثرة من الخلجان الصغيرة كأنها أغصان. وترد إلى هنا أسماك البيلاميدا[4] التي يسهل صيدها بسبب عظمة أسرابها وقوة التيار التي تدفع الأسماك لتجتمع في حشد، إضافة إلى ضيق الخلجان؛ ففي مثل هذا الازدحام يمكن اصطيادها حتّى بالأيدي العارية. وتسرأ هذه الأسماك في مستنقعات ميوتيدا، وحينما تكبر بعض الشيء وتقوى، فإنها تندفع أسراباً عبر الثغر وتمضي على طول الساحل الآسيوي حتّى ترابيزونت وتراقيا. ويبدأ هنا[5] الصيد الأول للبيلاميدا، لكنّه ليس وفيراً، لأنّ الأسماك لا تكون قد بلغت حجمها الطبيعي بعد. ولكن حينما تصل أسراب السمك إلى سينوبس، تكون قد غدت أكثر نضجاً للصيد والتمليح. وفي كلّ مرّة تصل الأسماك فيها إلى الكيانيس وتعبر على مقربة منهما، فإن صخرة ما بيضاء تبرز من

جهة الساحل الخلكيدوني، تدبّ الذعر بين صفوفها فتقفل في اللحظة عينها عائدة إلى الشاطئ المقابل. فيمسك بها التيار المحلّي؛ ولكن بما أن هذا المكان بطبيعته يسهل انعطاف التيارات البحرية نحو بزنطا والقرن الواقع عندها، فإنه من الطبيعي أن تتّجه الأسماك إلى هنا وتحقّق للبزنطيين والشعب الروماني واردات مهمّة. أمّا الخلكيدونيون، فعلى الرغم من أنهم يعيشون على مقربة، ولكن على الشاطئ المقابل، إلا أنه ليس لهم نصيب من هذه الواردات، لأنّ البيلاميدا لا تقترب من مرافئهم. ومن هنا جاءت الرواية التي تقول، إنه بعد أن بنى الميغاريون خلكيدونيا، أمر أبوللون أولئك الذين جاؤوا يسألون الكاهن، على أمل بناء بزنطا بعد ذلك، أن (يؤسّسوا مستوطنة قبالة العميان)؛ وقد دعا الإله الخلكيدونيين عمياناً، لأنهم على الرغم من أنهم أبحروا في هذه الأماكن على سفنهم من قبل، إلا أنهم أضاعوا فرصة إشغال هذه المنطقة الغنية على الشاطئ الآخر. واختاروا البلاد الأفقر. وها قد بلغت في وصفي بزنطا، لأنّ هذه المدينة الشهيرة الواقعة على مقربة مباشرة من مدخل البونتس، تبيّن أنها حدّ أكثر شهرة للإبحار من الإيستر على طول الساحل. وتقطن إلى الأعلى من بزنطا قبيلة الآستيين الذين تقع في منطقتهم مدينة كاليبا[6] حيث أسكن فيليب ابن أمينتا أكثر المجرمين شهرة[7].

الفصل السابع

1- بين كلّ الشعوب التي يحدها الإيستر، والجبال الإيلليرية والتراقية، لا يستحق الاهتمام إلا أولئك الذين يشغلون الساحل الأدرياتيكي كلّه، ابتداء من منخفض الخليج وما يدعى «الجهة اليسرى للبونتس»، من نهر الإيستر حتّى بزنطا. وتبقى أيضاً الأجزاء الجنوبية من البلاد الجبلية المذكورة سابقاً، والمناطق الواقعة إلى الأسفل منها والتي تنتمي إلى عدادها اليونان والبلاد البربرية المجاورة لها وصولاً إلى الجبل. وينقل إلينا هيكاتوس الميلتوسي عن البيلوبونيز أنها كانت مسكونة قبل الإغريق بالبرابرة. وعلى وجه العموم كان البرابرة يقطنون اليونان كلّها في الأزمة القديمة، وهو ما يمكن استنتاجه من التقليد نفسه: لقد قاد بيلوبس شعوباً من تراقيا إلى البيلوبونيز، التي حملت اسمه؛ وقاد دانائي شعوباً من مصر، أمّا الدريوبيون، والكافكونيون، والبيلاسيغيس، والليليغيس وغيرها من القبائل الأخرى، فقد تقاسمت فيما بينها المناطق الواقعة على هذا الجانب من البرزخ وذاك. وشغل التراقيون أتيكا، وقادهم إلى هنا إيفمولبوس، وشغل تيرييوس دافليدا في ثوكيدا، وشغل الفينيقيون قدموسيا التي قادهم إليها قدموس، وشغل الآونيون، والتيميكيون والجيانتيون بيوتيا. وكما يقول بينداروس:

في زمن ما كانت عشيرة البيوتيين تدعى
عشيرة الخنازير[1].

(المدائع، مقطع 83. بيرغك)

كما تدلّ أسماء بعضهم على منشئهم البربري: كيكروبس، كودر، آيكل، كوف، دريماس، وكريناك. ولا يزال التراقيون، والإيلليريون، الإيبيروتيون يعيشون حتّى الآن على أطراف اليونان. وغنيّ عن البيان القول، إن البرابرة الذين عاشوا هناك من قبل كانوا أكثر بكثير ممن يعيشون هناك الآن، لأنّ الشطر الأكبر من المنطقة التي لا جدال في أنها هي اليونان الآن، يشغله البرابرة. فمقدونيا وبعض أجزاء تساليا يملكها التراقيون، وأجزاء من أكارنانيا وإيثوليا يملكها الثيسبروتيون، والكاسوبيون، والأمفليوخيون، والمولوسيون، والأثامانيون، وهي قبائل إيبيرية.

2- لقد سبق وتحدّثنا عن البيلاسيغيس[2]. أمّا الليليغيس فإن بعضهم يرى فيهم شعباً واحداً مع الكاريين، بينما يرى آخرون أنهم ليسوا أكثر من جيران مقربين وأصحاب: ولذلك يؤكّد هؤلاء أن بعض القرى في منطقة ميلتوس تدعى قرى الليليغيس، وفي مناطق كثيرة من كاريا توجد مقابر لهؤلاء الليليغيس، وحصون مهجورة تدعى «حصون الليليغيس». لقد عاش الليليغيس والكاربون في كلّ المنطقة التي تدعى الآن إيونيا. لكنّ الإيونيين طردوهم وامتلكوا هذه البلاد، مع أن محتلي طروادا كانوا قد طردوا الليليغيس قبل ذلك من منطقة عند إيدّا، أي قرب بيداس ونهر ساتنيويس. والبرهان على أن الليليغيس كانوا برابرة، هي صلتهم نفسها بالكاريين. أمّا فيما يتعلّق بارتحالهم مع الكاريين، وارتحالهم لوحدهم من غير هؤلاء، ومنذ زمن بعيد، فإن أرسطو أشار إلى هذا من غير لبس في كتابه «السياسات»[3]. ففي «سياسة الأكارنانيين»، يقول: إن الكوريتيين يشغلون شطراً من البلاد، وإن الليليغيس والتيليبويين امتلكوا الشطر الغربي منها؛ وفي «سياسة الإيثوليين» يدعو أرسطو اللوكريين المعاصرين بالليليغيس، مشيراً إلى أنهم امتلكوا بيوتيا أيضاً (ويقول الشيء نفسه في سياستي «الأوبونتيين والميغاريين»). وفي «سياسة الليفكاديين» يدعو أرسطو أحد السكّان المحلّيين باسم ليليغيس، ويدعو حفيده لابنته تيليبوي و22 ابناً تيليبويا، وفي غضون ذلك فإن بعضهم أقام بحسب قوله، في ليفكادا. بيد أننا نستطيع أن نصدّق هسيود الذي يقول ما يلي عن الليليغيس:

في زمن ما حكم لوكر شعب الليليغيس الماجد،
لقد وهبهم كرونيون زيوس، الذي يعرف الأفكار الأزلية،

لديفكاليون، قبيلة[4] من الأرض مختارة.

(مقطع 141، 3، باولسون)

ويهيأ لي أن الشّاعر يومئ بهذا الاشتقاق[5] إلى أنهم منذ القدم كانوا عبارة عن خليط من حثالات قبلية متنوّعة، ولذلك اندثر هذا الشعب. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الكافكونيين الذين لا وجود لهم الآن في أي مكان، مع أنهم سكنوا فيما مضى في أماكن كثيرة.

3- في الأزمنة القديمة لم يكن من الصعب تحديد حدود هذه القبائل، فعلى الرغم من أنها كانت قبائل صغيرة كثيرة العدد ومجهولة، إلا أن كثافة سكّانها ووجود ملك على رأس كلّ منها، جعل مثل هذا الأمر سهلاً. ولكن، الآن، حينما تحوّل الشطر الأكبر من هذه البلاد إلى قفر خاو، واندثرت قراها ومدنها خاصة من على وجه الأرض، فإنه حتّى لو تسنى تحديد حدودها بدقّة، فإن هذا لن يكون له أي فائدة لأنها مجهولة أو دمّرت تدميراً تاماً. وكانت هذه العملية الأخيرة قد بدأت منذ الزمن القديم وفي مناطق كثيرة، ولم تنته تماماً حتّى الآن بسبب الانتفاضات وحركات العصيان. فالرومان الذين اختارهم السكّان أنفسهم حكّاماً عليهم، يقيمون معسكرات في «منازلهم»[6] نفسها. وفي أقلّ تقدير، بحسب رواية بوليبيوس، أن باولوس[7] بعد أن انتصر على المقدونيين وبرسيوس، دمّر 70 مدينة للإيبيروتيين (أكثرها كان للمولوسيين)، واستعبد 150.000 شخص. ولكنّني سأحاول، بقدر ما يخصّ هذا وصفي، ويدخل في مجال أهليتي، أن أصف بالتفصيل أجزاء معينة من البلاد، بدءاً من ساحل الخليج الإيوني، أي من المكان الذي ينتهي عنده الإبحار من البحر الأدرياتيكي.

4- وأوّل أجزاء هذا الساحل، هي المناطق الواقعة عند إيبيدامنوس وأبوللونيا. ومن أبوللونيا إلى مقدونيا في الشرق تمتدّ طريق إيغناتيوس التي قيست بالأميال وحدّدت عليها المسافات بالأعمدة وصولاً إلى كيبسيلا على نهر جيبر. ويبلغ طول هذه الطريق 535 ميلاً. وإذا ما حسبنا أن الميل يساوي 8 مراحل (كما يفعل أكثرهم)، فإن الحاصل سيكون 4280 مرحلة. أمّا إذا اتبعنا بوليبيوس الذي يزيد على المراحل الثماني 2 بليفرا (أي $\frac{1}{3}$ مرحلة)، فإنه ينبغي أن نضيف 178 مرحلة أخرى، أي $\frac{1}{3}$ العدد الكلي للأميال. والذي يحدث أنه إذا ما انطلق رحالة على الطريق نفسها من أبولونيا وإيبيدامنوس، فإنهم سيلتقون على مسافة متساوية من نقطتي الانطلاق[8]. ومع أن الطريق كلّها تدعى طريق إيغناتيوس، إلا أن الشطر الأول منها يدعى «الطريق إلى كاندافيا» (وكاندافيا،

هو جبل إيلليري)، وهي تمرّ عبر مدينة ليخنيدس وبيلون، وهو مكان تمرّ عنده الحدود على هذه الطريق بين المنطقة الإيلليرية والمنطقة المقدونية. ومن بيلون تسير الطريق على مقربة من بارنونت وعبر هيراقليا ومنطقة اللينكيستيين والإيورديين إلى إيدسا وبيلا إلى تسالونيكيا. ويبلغ طول هذه الطريق بحسب بوليبيوس، 267 ميلاً. وإذا ما أخذتها من منطقة إيبيدامنوس وأبوللونيا، فعلى جانبها اليميني تكون القبائل الإيبيرية التي تشاطئ أراضيها البحر الصقلي وتمتدّ إلى الخليج الأمبراكي؛ أمّا على الجانب الأيسر فتقع الجبال الإيلليرية (التي كنت قد وصفتها بالتفصيل)، والشعوب التي تجاورها وصولاً إلى مقدونيا وبلاد البيونيين. وعند الخليج الأمبراكي تبدأ أراضي اليونان، وهي تتّجه نحو الشرق بثبات وتمتدّ متوازية مع البيلوبونيز؛ ثمّ تترك البيلوبونيز من الجهة اليمنى لتنتهي عند بحر إيجة. ويقطن المقدونيون، والبيونيون، وبعض القبائل التراقية الجبلية في المنطقة التي تبدأ عندها الجبال المقدونية والبيونية حتّى نهر ستريمون. أمّا الأراضي الواقعة على ذلك الجانب من ستريمون حتّى ثغر البونتس وجبل جيموس، فهي كلّها أراضي تراقية، ما عدا الساحل. فعلى هذا الأخير يعيش الإغريق الذين استوطن فريق منهم البروبونتيدا، وفريق آخر الهليسبونت وعند خليج ميلان، وجزئياً على بحر إيجة. ويشاطئ بحر إيجة اليونان من جهتين: جهة تتّجه نحو الشرق (وهي تمتدّ من سونيوس نحو الشمال حتّى خليج ثيرمييوس ومدينة تسالونيكيا المقدونية التي فيها الآن من السكّان أكثر مما في المدن الأخرى)، وتتّجه الجهة الأخرى نحو الجنوب، وهي تحديداً المنطقة المقدونية من تسالونيكيا حتّى ستريمون. ويرى بعضهم أن الساحل من ستريمون حتّى نهر نيست، هو لمقدونيا أيضاً، لأنّ فيليب بذل جهوداً خاصة لامتلاك هذه الأراضي، ثمّ بعد أن أخضعها لسلطته حصل من مناجمها وثرواتها الطبيعية الأخرى، على واردات مهولة. وفي الفضاء الذي يمتدّ من سونيوس إلى البيلوبونيز تقع بحار ثلاثة هي: البحر الميرتوي، والبحر الكريتي، والبحر الليبي مع خلجانها حتّى البحر الصقلي. ويملأ هذا الأخير الخليج الأمبراكي، والخليج الكورونثي، والخليج الكريسي.

5- بحسب ثيوبومبوس أن القبائل الإيبيرية 14 قبيلة. وأشهرها الهاونيون والمولوسيون، لأنهم في زمن ما، امتلكوا منطقة إبير كلّها: في الأول امتلكها الهاونيون، ثمّ المولوسيون. وقد بلغ هؤلاء الأخيرون قدراً أعظم من القوة بفضل الأصل السامي لملوكهم (لأن هؤلاء كانوا ينتمون إلى سلالة الإياكسيين)(9)، ولأن الموْحى الدودوني العريق والشهير كان موجوداً في بلادهم. ويشغل الهاونيون، والثيسبروتيون

والكاسيوبيون الذين يلونهم (وهؤلاء ثيسبروتيون بدورهم) يشغلون الساحل من الجبال الكيرافنية حتّى الخليج الأمبراكي، وهي أراض شديدة الخصوبة. ويبلغ طول الطريق البحرية إذا أبحرت من أرض الهاونيين نحو مطلع الشمس وإلى الخليج الأمبراكي والخليج الكورونثي، تاركاً البحر الأفسوني على يمينك، وإبير على يسارك، 1300 مرحلة من الجبال الكيرافنية حتّى ثغر الخليج الأمبراكي. وفي هذا المدى تقع بانورم، وهي ميناء كبير يقوم في وسط الجبال الكيرافنية، وتقع وراء هذه الأخيرة أونخيسم، وهي ميناء أخرى تقع قبالتها الأطراف الغربية لكوركيرا، وأيضاً ميناء كاسيوبا، ومن هناك إلى برينتيسي 1700 مرحلة. والمسافة عينها حتّى تارانت من الرأس البحرية الأخرى الواقعة إلى الجنوب من كاسيوبا والتي تدعى رأس فالاكروس. وتأتي بعد أونخسيم بوسيديوس، وبوفروت (عند ثغر الميناء التي تدعى بيلود)، الواقعة في المكان الذي يشكّل شبه جزيرة (ثمة في بوفروت مستعمرة رومانية)، وسيبوتا. وسيبوتا هذه جزر صغيرة تقع غير بعيد عن إبير مقابل ليفكيما، الطرف الشرقي لكوركيرا. وهناك جزر صغيرة أخرى على امتداد هذا الساحل، ولكنّها لا تستحق الذكر. ثمّ تلي ذلك رأس كيميريوس البحرية، وغليكس ليمان[10] حيث يصبّ نهر أخيرونت. وينبع هذا الأخير من بحيرة أخيروسيا ليستقبل عدة روافد تجعل من مياه الخليج مياهاً عذبة. ويجري نهر ثيامس على مقربة. وتقع فوق هذاالخليج مدينة كيخيروس، وكانت سابقاً تدعى إيثيرا، وهي مدينة الثيسبروتيين، وتقع فوق الخليج عند بوثورت، مدينة فينيكا. وغير بعيد عن كيخيروس تقع بلدة الكاسوبيين بوخيتيوس، إلى الأعلى قليلاً من البحر؛ وتقع في داخل البلاد إيلاترتيا، وباندوسيا، وباتي؛ وتمتدّ حدود هذه المدن حتّى الخليج. ويأتي بعد غليكس ليمان ميناءان. إحداهما- كومار أقرب [إلى الخليج] وأصغر، وتشكّل برزخاً بـ 60 مرحلة مع الخليج الأمبراكي ونيكوبوليس (التي أسّسها أغسطس قيصر)؛ والثانية أبعد، وأكبر وأفضل، وتقع غير بعيد عن ثغر الخليج، وعلى بعد يقارب 12 مرحلة عن نيكوبوليس.

6- يلي ذلك ثغر الخليج الأمبراكي. ولا يزيد عرض ثغر هذا الخليج عن 4 مراحل إلا قليلاً، ويصل امتداد محيطه إلى 300 مرحلة؛ وعليه في كلّ مكان موانئ جيّدة. وعلى الجهة اليمنى، إذا دخلت الخليج، يعيش الإغريق الأكارنانيون. وتقع هنا غير بعيد عن الثغر، أرض أبوللون الأكتي المقدّسة، وهذه الأرض عبارة عن تلّ بني عليه معبد؛ وعند قدم التلّ واد فيه دغل مقدّس وترسانة لإصلاح السفن. وقد كرّس قيصر هنا 10

سفن تقدمة كثمار النصر[11] الذي حقّقه، وكانت هذه السفن مختلفة الأحجام ابتداء من تلك التي تتألف من نسق واحد من المجاديف وانتهاء بتلك التي تتألف من عشرة أنساق من المجاديف. ولكن يروى أن حريقاً أتى على الأحواض والسفن معاً. وتقع على الجهة اليسرى مدينة نيكوبوليس وأرض الكاسوبيين الإبيريين حتّى منخفض الخليج عند أمبراكيا. وتقع أمبراكيا إلى الأعلى قليلاً من هذا المنخفض. وقد أسّس هذه المدينة غورغ بن كيبسيلا. ويجري عند أمبراكيا نهر أراتث الذي لا يصلح للملاحة إلا لعدة مراحل إلى الأعلى من البحر حتّى المدينة، مع أنه ينبع من جبل تيمفا وباروريا. وكانت هذه المدينة قد حقّقت في زمن ما ازدهاراً استثنائياً (وفي الأحوال كلّها، أعطت المدينة اسمها (للخليج)، لكنّ بيروس زينها وزخرفها زخرفة خاصة بعد أن جعلها عاصمة له. وفيما بعد أضعف المقدونيون ثمّ الرومان هذه المدينة والمدن الإبيرية الأخرى بحروبهم المتواصلة عليها لأنها كانت مدناً عاصية. ولذلك عندما رأى قيصر في نهاية المطاف أن هذه المدن قد أنهكت تماماً جمع سكّانها كلّهم وأسكنهم في مدينة واحدة على هذا الخليج تدعى نيكوبوليس[12]. وقد دعا أغسطس المدينة بهذا الاسم، على شرف النصر الذي حقّقه في المعركة البحرية التي وقعت أمام ثغر الخليج بينه وبين أنطونيو ومعه كليوباتر ملكة مصر التي شاركت بنفسها في هذه المعركة. ونيكوبوليس هذه فيها كثافة سكّانية عالية، ويتزايد عدد سكّانها يوماً بعد يوم، لأنه عدا عن أراضيها الواسعة وتزيينها على حساب الغنائم الحربية، فإن في ضواحيها أرضاً مقدّسة مجهّزة تجهزياً عالياً؛ فخصص شطراً منها لإقامة الألعاب التي يحتفل بها مرّة كلّ خمس سنوات، إضافة إلى ألعاب القوى، وحديقة فيها ستاد رياضي؛ ويتألف شطرها الآخر من تل فوق دغل أبوللون المقدّس. وهذه الألعاب، هي الألعاب الأكتية المكرّسة لأبوللون الأكتي، وقد أعلنت ألعاباً أوليمبية، وعهد للاكيديمونيين العناية بها. أمّا باقي المستوطنات فهي ضواحي نيكوبوليس. وفي الزمن السابق أيضاً، كان سكّان الضواحي يقيمون ألعاباً أكتيّة على شرف هذا الإله، وكانت مكافأتها إكليل، لكنّ قيصر أعطى هذه الألعاب الآن أهمية أكبر وشرفاً أعظم.

7- وتأتي بعد أمبراكيا آرغوس الأمفيلولوخية التي أسّسها ألكميون وأولاده. وحسب رواية إيثور أن ألكيميون وصل إلى إيثوليا مع ديوميدس بدعوة من هذا الأخير، بعد حملة الإيبيغونيين على طيبة، وساعده على امتلاك هذه البلاد وأكرانانيا. وحينما دعاهما آغاممنون للمشاركة في الحملة على طروادا، لبى ديوميدس الدعوة، لكنّ

ألكيميون بقي في أكرانانيا، وأسّس آرغوس ودعاها أمفيلوخي على اسم أخيه، ودعا النهر الذي يجري عبر هذه البلاد إلى الخليج، نهر إيناخوس، على اسم النهر الذي يجري في أرض الأرغيفيين. ولكن، بحسب ثوكيديدس، أن أمفيلوخ نفسه، وبعد عودته من تحت أسوار طروادا، لم يكن راضياً عن الأوضاع القائمة في آرغوس، فجاء إلى أكرانانيا، وتسلم السلطة بصفته وريثاً لأخيه، ثمّ أسّس هذه المدينة التي تحمل اسمه.

8- والأمفيلوخيون، وهم الإبيريون أيضاً، مثلهم مثل القبائل التي تقطن إلى الأعلى منهم (مجاورة الجبال الإيلليرية)، وتعيش في بلاد قاسية: المولوسيين، والأثامانيين، والإيفيكيين، والأوريستيين، والباروبيين، والأنتينتانيين؛ بعضهم قريب من المقدونيين، والآخرون من الخليج الإيوني. ويروى أن أوريستوس امتلك يوماً أوريستيادس (حينما كان منفياً لأنه قتل أمه)، وترك لهذه البلاد اسمه الذي سميت به. كما أسّس مدينة ودعاها آرغوس الأوريستية. وقد تخالطت مع هذه الشعوب القبائل الإيلليرية التي على مقربة من الشطر الجنوبي للبلاد الجبلية، وتلك التي كانت تقطن المناطق الواقعة إلى الأعلى من الخليج الإيوني. فإلى الأعلى من إيبيدامنوس وأبوللونيا وصولاً إلى الجبال الكيرافنية، يعيش البيليونيون، والتافلانتيون، والبارثينيون، والبريغيون. وفي مكان ما هنا، على مقربة تقع مناجم الفضّة في داماستيوس[14]، وعلى مقربة منها رسخ الديستيون والإينخيليون سيطرتهم (ويدعى هؤلاء بالسياريفيين أيضاً). ويقطن إلى جانب هذه القبائل أيضاً، اللينكيستيون، كما تقع هنا منطقة ديوريوب، وتريبوليس البيلاغونية[15]، والإيورديون، ومنطقتا إيليمييا وإيراتيرا. وفي الأزمنة الماضية كان لكل منطقة من هذه المناطق حاكمها الخاص فالإينخيليون مثلاً، كان يحكمهم خلفاء قدموس وهارمونيا، وحتّى الآن يرونك هناك أماكن ترتبط بالروايات الأسطورية عنهم. لقد كان يحكم هذه الشعوب حكّام غرباء لا ينتمون إلى السلالات المحلّية. فاللينكيستيون مثلاً خضعوا لسلطة أرابيوس الذي ينتمي إلى سلالة الباكياديين.. وكانت إيفريديكا، والدة فيليب ابن أمينتا، حفيدة أرابيوس لابنته، وكانت سيرا ابنته. ومن الإبيريين حكم المولوسيين بيروس ابن نيوبتوليموس ابن أخيلليس، وخلفاؤه، وهم سلالة تسالية. أمّا الشعوب الأخرى فقد كان يحكمها حكّام محلّيون. وبما أنه كان دائماً ثمّة قبيلة تسود على القبائل الأخرى، فقد خضعت هذه كلّها للمقدونيين، ما عدا بعضها التي كانت تعيش إلى الأعلى من الخليج الإيوني. وقد دعا بعضهم المناطق الواقعة عند لينكوس، وبيلاغونيا، وأوريستيدا، وإيليمبيوس،

مقدونيا العليا، ودعيت فيما بعد مقدونيا الحرة أيضاً. وهناك آخرون يدعون المنطقة كلّها حتّى كوركيرا، باسم مقدونيا. وفي الوقت نفسه، ساق بعضهم دليله على صحّة هذا الزعم مستنداً إلى أن سكّان هذه البلاد يقصون شعرهم بالطريقة عينها، ويتكلّمون لغات متشابهة، ويرتدون أردية متشابهة، وما إلى ذلك من الأشياء، لكنّ آخرين قالوا إنهم يتحدثون لغتين. وبعد سقوط السيطرة المقدونية، خضع هؤلاء لسيطرة الرومان. وعبر مناطق هذه القبائل من إيبيدامنوس وأبوللونيا، تمرّ طريق إيغناتيوس. وعلى مقربة من الطريق، على جبل كاندافيا تقع بحيرة مجاورة لمدينة ليختيدس؛ وتقوم هنا ورش لتمليح الأسماك مستقلّة [عن التجمّعات المائية الأخرى]. كما توجد هنا أنهار، يصبّ بعضها في الخليج الإيوني، وبعضها الآخر يجري نحو الغرب: إيناخوس، وأراتث، وأخيلوس، وإيفين الذي كان يدعى من قبل ليكورم. ويصبّ أراتث في الخليج الأمبراكي، وإيناخوس في أخيلوس، وأخيلوس في إيفين، وإيفين في البحر، ويجري الأول عبر أكارنانيا، والثاني عبر إيثوليا. أمّا إريغون فبعد أن يستقبل روافد كثيرة تنحدر من الجبال الإيليرية ومناطق اللينسكيستيين، والبريغيين، والدريوبيين، والبيلاغونيين، يصبّ في نهر أكسي.

9- وفي الماضي كانت لهذه القبائل مدنها. وفي الأحوال كلّها، فقد دعيت بيلاغونيا «المدن الثلاث»؛ وكانت آزور واحدة من هذه المدن. وعلى نهر إريغون كانت مدن الدريوبيين كلّها ذات كثافة سكّانية عالية؛ ومنها: بريانى، وألالكومينا، وستيبارا. وكانت مدينة كيدرا للبريغيين، ومدينة إيجيني الواقعة على الحدود مع إثيكيا وتريكا للتيمفيين. وعند جبلي بيوس وبيندوس، وغير بعيد عن مقدونيا وتساليا يقطن الإيفيكيون وتقع منابع نهر بينييوس (ويختصم التيمفيون والتساليون الذين يعيشون عند سفوح بيندوس، للسيطرة على منابع هذا النهر)، كما تقع هنا أيضاً مدينة أوكسينيا على نهر إيون، على بعد 120 مرحلة عن آزور في المدن الثلاث. وعلى مقربة تقع ألالكومينا، وإيجيني، ويوروب، ونقطة التقاء نهري إيون وبينييوس وأنا كنت قد أشرت إلى أنه في الزمن الماضي كانت الكثافة السكّانية في كلّ من إبير وإيلليريا عالية جدّاً، على الرغم من أن هذه البلاد ليست مستوية وتقطعها الجبال (مثلاً، جبل تومار، وجبل بوليان و...). أمّا الآن فإن الشطر الأكبر مقفر، ولا تشكّل الأماكن المسكونة سوى قرى وأطلال. وحتّى الكاهن المتنبّئ في دودونا صمت، مثله في هذا مثل المتنبّئين الآخرين.

10- وبحسب إيثور أن البيلاسيغيس هم الذين انشؤوا مؤسّسة المتنبّئ هذه، وأن البيلاسيغيس هم أقدم القبائل التي حكمت في اليونان. وعن هذا يقول هوميروس:

زيوس البيلاسيغي، الدودوني،

الرب الذي يقيم بعيداً

(الإلياذا XVI، 233)

ويقول هسيود:

جاء إلى دودونا، وإلى شجرة البلوط، مسكن البيلاسيغيس

(مقطع 212، رجاخ)

وأنا كنت قد تحدّثت عن البيلاسيغيس لدى وصفي لتيرينا[16]. أمّا فيما يخصّ القبيلة التي تسكن عند معبد دودونا، فإن هوميروس يبين بوضوح أنها كانت قبيلة بربرية إذ يصف نمط عيشها:

[الكويون] لا يغسلون أرجلهم وينامون على الأرض العارية.

(الإلياذا XVI، 235)

وعلى أيّ حال من الصعب أن نعطي إجابة محدّدة عمّا إذا كان ينبغي أن ندعوهم هلليين كما يرى بينداروس، أو سيلليين كما ينبغي أن نقرأ لدى هوميروس، لأنّ النصّ يثير الشكوك. وبحسب فيلوكور أن المكان الواقع عند دودونا، ومثله إيبيوس، كان يدعى هيللوبيا؛ وواقع الأمر، يضيف فيلوكور، أن هسيود يقول:

هناك هيللوبيا، ناحية وسط المروج وموئل السمان،

وعلى تخوم هذه الأرض شادوا في زمن ما، دودونا.

(مقطع 134، رجاخ)

وعلى حدّ قول أبوللودوروس. إنه ثمّة رأي يقول، إن البلاد أعطيت هذا الاسم بسبب المستنقعات[17] الموجودة عند المعبد. ولكنّ أبوللودوروس نفسه يرى، أن هوميروس لم يدع سكّان أطراف المعبد «هلليين»، بل «سيلليين»، لأنّ الشّاعر، يضيف أبوللودوروس، يذكر أيضاً، نهراً ما يدعى «سيلليينس»[18]. والشّاعر يذكر هذا النهر فعلاً:

... من مدينة إيثيرا، من مياه سيلليينس.

(الإلياذا II، 659)

ولكنّ ديميتري السكيبسيسي يرى، أن الحديث لا يجري عن إيثيرا التي عند الثيسبروتيين، بل عن إيثيرا الإيلية، لأنّ نهر سيلليينس يقع هناك، أمّا الثيسبروتيون والمولوسيون فليس عندهم مثل هذا النهر. وفيما يخصّ أسطورتي شجرة البلوط،

obeikandi.com

والحمامات، وسواهما من الأساطير المشابهة، فإنها تلائم (كالأساطير التي ترتبط بالدلافين) إلى حدّ ما ميدان المناظرات الشعرية، وإلى حدّ ما تنتمي إلى وصفنا الجغرافي الراهن.

11- في الزمن القديم كانت دودونا تحت سلطة الثيسبروتيين، وكذلك جبل تومار أو تمار (الصيغتان مستخدمتان)، الذي يقوم المعبد على سفحه. ويدعو كلّ من التراجيديين وبينداروس دودونا «بالثيسبروتية». وقد باتت هذه فيما بعد تحت سلطة المولوسيين. ويروى أنه على اسم جبل تومار، دعي «التوماريون» الذين ذكرهم الشّاعر كمؤوّلين لآيات زيوس، والذين يصفهم بأنهم

... لا يغسلون أرجلهم وينامون على الأرض العارية.

(*الإلياذا* XVI، 235)

وفي «الأوذيسا» أيضاً، يفهم بعضهم كلمات أمفينوم حينما نصح هذا الخطّاب بألا يهاجموا تيليماخ قبل أن يسألو متنبّئ زيوس:

إذا أذن توموريوّ زيوس العظيم،
سأوافق أنا نفسي على طعنه، وأدعو
الآخرين إلى قتله؛ أمّا إذا منع زيوس،
فأمسكوا عن نصحيتي.

(*الأوذيسا* XVI، 403-405)

فحسب رأيهم إنه من الأفضل أن نرى في هذا tomourio من أن نرى فيه themistai. وفي الأحوال كلّها فإن الشاعر لا يدعو أقوال المتنبّئ themistai في أي مكان من الملحمة، ولكنّ هذه الكلمة تعني «أوامر»، و«قرارات»، و«أحكاماً تشريعية». وقد دعوا هؤلاء الناس tomouorio اختصاراً، بدلاً من tomarourio، أي «حراس تومار». ويقرؤه النقاد الحديثون tomouroi، بيد أنه كان من الأبسط اعتماد كلمة themistai وboulai بمعنى أكيد لكلمة مثل «أوامر» المتنبّئ و«قراراته»، والشيء عينه ينسحب أيضاً على كلمة «قوانين» على وجه العموم، وبهذا المغزى فعلاً قيل ما يلي، على سبيل المثال:

من شجرة البلوط العالية الأغصان،
يسمع أمر زيوس.

(*الأوذيسا* XIV، 328)

12- في الأول كان هناك رجال- متنبّئون؛ ربّما كان هذا هو ما يشير إليه الشاعر، لأنه يدعوهم hypophetai[19]، الذين كان يمكن أن يكون في عدادهم متنبّئون. ولكن فيما بعد عندما ضموا ديونا إلى زيوس شريكة للعرش في المعبد، وضعوا هنا ثلاث عجائز متنبّئات. ومع ذلك فإن سفيدا، ورغبة منه في إرضاء التساليين بالروايات الأسطورية يقول، إن المعبد نقل من تساليا، من منطقة بيلاسغيا عند سكوتوسا (وسكوتوسا تقع في بيلاسغيوتيدس التسالية)، ورافقه أكثر النسوة اللائي أكثر متنبّئات اليوم خليفاتهن. ومن هنا دعي زيوس بالبيلاسيغي. ولكنّ كينيوس يروي قصة أخرى أكثر أسطورية [...][*].

* - لم تبق خاتمة الكتاب VII.

obeikandl.com

مقاطع الكتاب السابع(*)

1- يقول كينيوس، إن في تساليا مدينة [ديدونا]، وإن شجرة البلوط ومقر تنبؤ زيوس نقلا من هنا إلى إبير (Steph. Byz. Dodone, s.v.).

1a- في الأزمنة الغابرة كان مقر النبوءات يقع عند سكوتوسا، مدينة بيلاسغيوتيدس. وبعد أن أحرق أحدهم الشجرة، انتقل مقرّ النبوءات بأمر من متنبّئ أبوللون، إلى دودونا. ولم يكن الكاهن ينقل النبوءات بالكلام، بل بإشارات معروفة، كما كان يفعل كاهن آمون في ليبيا. وربّما كانت تلك الإشارات سمات ما في طيران ثلاث حمامات يراقبها الكهنة ويعطون نبوءاتهم. ويروى في السياق، أن العجائز يدعين بلغة المولوسيين والثيسبروتيين pelioi[1]، ويدعى العجائز الذكور pelioi. وربّما لم تكن البيليادس السيّئات الصيت طيوراً البتة، بل ثلاث عجائز كن يعشن في المعبد (Exc.Vat.).

1b- وفيما يخصّ سكوتوسا، كنت قد أشرت إليها لدى وصفي لدودونا وكاهن تساليا المتنبّئ، لأنّ المدينة تقع على مقربة من هذا المكان. (Strabo IX,V,20).

1C- بحسب الجغرافي[2]، أنهم يبجلون في دودونا شجرة البلوط التي كانوا يعدونها الأقدم في عالم النبات [وثمارها] أوّل الثمار التي استخدمها الناس في غذائهم. ويقول الكاتب نفسه عن ما يسمّى «حمامات التنبؤ» المحلّية، إنهم كانوا يراقبون طيران هذه الطيور لأغراض التنبؤ، مثلما كان هناك متنبّئون يتنبؤون بطيران الغربان (Eustath. ad Odyss XIV, 327).

2- وكما عند المقدونيين كذلك عند الثيسبروتيين والمولوسيين، كانت العجائز تدعى peliai، والعجائز من الرجال pelioi. وفي الأحوال كلّها كانوا يدعون الأشخاص الذين كانوا يشغلون عندهم مناصب تشريفية «بيليغوني»، ودعي مثل هؤلاء عند اللاكونيين والماساليين هيرونتي[3]. ويروى أن منشأ أسطورة الحمامات على شجرة بلوط دودونا يرجع إلى هنا (Exc. Vat.).

---

* لقد أُخذت مقاطع الكتاب السابع أساساً ممّا يدعى «بالخلاصات البالاتينية» و«الفاتيكانية»، وعن يوستافيوس المؤوِّل القديم لهوميروس، وعن واضع المعاجم ستيفان البزنطي، وعن أثينوس المدعو «بالمعجميّ الاشتقاقي الكبير» و...

3- لقد خرج المثل القائل «كالإناء النحاسي الدودوني»[4] على النحو الآتي: كان في المعبد إناء نحاسي تحته شكل بشري يحمل سوطاً نحاسياً، وكان تقدمة من الكوركيريين. وكان هذا السوط سوطاً ثلاثياً على شكل سلسلة نوى تتدلى إلى الأسفل، وكانت الريح تؤرجح هذه النوى دائماً لتضرب هذه الإناء النحاسي، فتصدر طنيناً يتواصل زمناً يستطيع خلاله من يقيس المدة الفاصلة بين بداية الطنين ونهايته أن يعدّ حتّى الأربعمئة. ومن هنا جاء المثل القائل: «كسوط الكوركيريين» (Exc. ed.).

4- تقع بيونيا إلى الشرق من هذه القبائل وإلى الغرب من الجبال التراقية، وإلى الشمال من المقدونيين، وتشكّل على الطريق التي تمرّ عبر مدينة غورتيني وستوبا معبراً [ضيّقاً نحو الجنوب][5]، يجري عبره نهر آكسي الذي يعوق العبور من بيونيا إلى مقدونيا، تماماً مثل بينييوس الذي يندفع من جهة اليونان عبر وادي تيمبييوس، فيقي مقدونيا. وفي الجنوب تجاور بيونيا بلاد الأفتارياتيين، والداردانيين، والأرديين؛ وتمتدّ حتّى ستريمون (Exc. Vat.).

5- يصبّ هالياكمون في خليج ثيرمييوس (Exc. Vat.).

6- أوريستيدا بلاد شاسعة؛ فيها جبل كبير يمتدّ حتّى جبل كوراكس في إيثوليا، وجبل بارناس. وحول هذا الجبل يعيش الأوريستيون أنفسهم، والتيمفيون، وكذلك الإغريق خلف البرزخ الذي يلتف حول بارناس، وإيتا، وبيند. ويدعى الجبل كلّه باسم مشترك واحد، هو بويون، لكنّ لأجزائه تسميات كثيرة. ويروى أنه يمكن رؤية بحر إيجة، والخليج الأمبراكي، والخليج الإيوني من أعلى قممه، ولكنّي أرى أن هذا الأمر مبالغ فيه كثيراً. ويعد جبل بتيليون الذي يرتفع عند الخليج الأمبراكي، جبلاً عالياً إلى حدّ ما؛ وهو يمتدّ من إحدى جهتيه حتّى خليج كوركيرا، ومن الجهة الأخرى حتّى البحر عند ليفكادا (Exc. Vat.).

7- لقد تحوّلت كوركيرا التي أنهكتها الحروب إلى مضرب مثل للسخرية (Exc. Vat.).

8- وفي الزمن القديم عاشت كوركيرا في بحبوحة، إذ كانت تملك قوة بحرية كبيرة، لكنّ عدّة حروب وعدداً من التيران أنهكوها ثمّ أهلكوها، وحتّى بعد أن منحها الرومان حريتها فيما بعد، لم تستطع أن تستثمر سمعتها الحسنة، وظهر في مجال المذمة المثل الآتي:

كوركيرا، أنت حرّة، حيث تريدين، يمكنك...[6]

(Exc. ed.)

9- وبقي لنا الآن أن نصف من أجزاء أوروبا، مقدونيا والأجزاء التي تجاورها من تراقيا حتّى بزنطا، ثمّ اليونان والجزر المجاورة. والحقيقة أن مقدونيا هي اليونان أيضاً، ولكنّني إذ التزم الآن الطابع الطبيعي والشكل الجغرافي لهذه البلدان، فقد عزمت على أن أفصلها عن باقي اليونان، وأصلها مع الجزء الذي يجاورها من تراقيا وصولاً إلى ثغر البونتس الإيفكسيني والبروبونتيدا. وبعد قليل يذكر [سترابون] كيبسيلا ونهر جيبر. كما يصف هيأة على شكل متوازي أضلاع تستقر فيه مقدونيا كلّها (Exc.Vat.).

10- ويحد مقدونيا من جهة الغرب ساحل البحر الأدرياتيكي؛ ومن جهة الشرق خطّ الزوال الموازي لهذا الساحل والذي يمرّ عبر مصبّ نهر جيبر وعبر مدينة كيبسيلا؛ ومن جهة الشمال خطّ وهمي مستقيم يقطع جبل بيرتيسك، وجبل سكارد، وجبل أوريول، وجبل رودوبا، وجبل جيموس. وابتداء من البحر الأدرياتيكي تمتدّ هذه الجبال على خطّ مستقيم حتّى البونتس الإيفكسيني مشكّلة بالاتجاه نحو الجنوب شبه جزيرة كبيرة تضم إضافة إلى تراقيا: مقدونيا، وإبير، وآخيا؛ ويحد مقدونيا من جهة الجنوب طريق إيغناتيوس التي تسير من مدينة ديراخيا باتجاه الشرق حتّى تسالونيكيا. وهيأة مقدونيا هذه تشبه متوازي الأضلاع شبهاً كبيراً (Exc. ed.).

11- في الأزمنة السابقة كانت مقدونيا المعاصرة تسمى إيماثيا. وقد أخذت اسمها هذا من اسم مقيدون، وهو أحد حكّامها القدماء. وكان ثمّة مدينة على البحر تدعى إيماثيا أيضاً. وقد شغل هذه البلاد جزئياً بعض من بيريين والإيلليريين، أمّا الشطر الأكبر منها، فقد سكنه البوتييون، والتراقيون. ويقولون[7]، إن البوتيين كانوا من أصل كريتي وإنهم جاؤوا من هناك تحت قيادة بوتون؛ ومن التراقيين سكن البييريون في بييريا والمنطقة المجاورة للأوليميب؛ وسكن البيونيون أراض تقع على ضفاف نهر أكسي، وفي مكان يدعى على اسم النهر أمفاكسيتيدس؛ وسكن الإيدونيون والبيسالتيون ما تبقى من البلاد حتّى نهر ستريمون. ولم يدع من هذه القبائل بيسالتيين سوى هذه القبيلة الأخيرة، أمّا الإيدونيون فبعضهم حمل اسم الميغدونيين، وبعضهم الآخر اسم الإيدونيين، وحمل بعضهم الثالث اسم السيفونيين. وقد فرض الأرغياديون[8] وكذلك الخلكيديون الذين جاؤوا من إيبيوس، سيطرتهم على هذه الشعوب كلّها؛ وكان الخلكيديون قد جاؤوا من إيبيوس إلى بلاد السيفونيين وبنوا هنا حوالي 30 مدينة. وعندما طرد سكّان هذه المدن منها فيما بعد سكن أكثرهم في مدينة واحدة، هي مدينة أولينث؛ وباتوا يسمون بالخلكيديين التراقيين (Exc. Vat.).

11a- ينطق الاسم القبلي لسكّان بوتيا i [9]، كما يشير سترابون في الكتاب VII. وتدعى المدينة[10] باسم الكريتي بوتون (Etym. Magn. p. 206,6).

11b- أمفاكسي. جزآ الكلام[11]. مدينة. والاسم القبلي لسكّان امفاكسي، هو الامفاكسيت. سترابون في الكتاب VII (Steph. Byz. Amphaxion, s.v.).

12- يفصل نهر بينييوس بين مقدونيا الدنيا، أو مقدونيا الساحلية، وتساليا، ومغنيسيا، أمّا هالياكمون ومعه إريغون، وآكسي والأنهار الأخرى، فهي تفصل بين مقدونيا العليا ومنطقة الإبيريين والبيونيين (Exc. Vat.).

12a- ولكن، إذا كانت مقدونيا تمتدّ بحسب الجغرافي، من بيليون التسالي وبينييوس حتّى بيونيا ومنطقة الشعوب الإبيرية، وإذا كان لدى الإغريق عند طروادا حلفاء من بيونيا، فإنه من الصعب أن نتخيّل أنه جاء إلى الطرواديين حلفاء من منطقة بيونيا المذكورة الأكثر بعداً (Eustath. ad. Ilid II, 848).

13- من الساحل المقدوني كلّه (ابتداء من منعطف خليج ثيرمييوس وتسالونيكيا)، يمتدّ شطر واحد نحو الجنوب حتّى سونيوس، ويمتدّ الآخر نحو الشرق حتّى كرسونيس التراقية ليشكّل مع المنعطف المذكور ما يشبه الزاوية. وتبعاً لامتداد مقدونيا بالاتجاهين، فإنه ينبغي علي أن أبدأ من الشطر المذكور أولاً. ففوق الشطر الأول، إلى الأعلى من منطقة سونيوس تقع أتيكا ومعها منطقة ميغارا حتّى الخليج الكريسي. ثمّ يأتي الساحل البيوتي المتجه نحو إيبيوس. وإلى الغرب، أعلى من هذا الساحل، وبموازاة أتيكا يقع الشطر المتبقي من بيوتيا. ويقول سترابون أيضاً، إن طريق إيغناتيوس التي تسير من الخليج الإيوني، تنتهي عند تسالونيكيا (Exc. Vat.).

14- وعن الأراضي الشريطية الشكل، يقول سترابون، إنني أبرز قبل كلّ شيء حدود الشعوب التي تسكن غير بعيد عن بينييوس وهالياكمون عند البحر. فبينييوس يجري من جبل بيندوس عبر وسط تساليا نحو الشرق، وإذ يعبر مدن اللابيثين، وبعض مدن البيريبويين، يصل النهر إلى وادي تيمبييوس. وكان بينييوس قد استقبل حتّى الآن عدداً من الروافد، منها يوروب؛ وقد دعا هوميروس هذا الأخير تيتاريسيوس[12]، لأنّ منابع هذا النهر تقع في جبل تيتاريوس الذي يتّصل مباشرة بجبل الأوليمب، الذي يبدأ من هنا بفصل مقدونيا عن تساليا. ووادي تيمبييوس، هو فج ضيّق بين الأوليميب وأوسا؛ ومن هذه الثغور الضيقة يجري بينييوس ما يقارب 40 مرحلة تاركاً على جهته اليسرى جبل الأوليميب، وهو أعلى جبل في مقدونيا، وعلى جانبه اليميني (على مقربة من مصبّه)، جبل أوسا. وغير بعيد عن مصبّ بينييوس (على الجهة اليمنى) تقع مدينة هيرتون، وهي مدينة بيريبية مغنيتية كان يحكم فيها بيريفوي

وإيكسيون. وعلى بعد حوالي 100 مرحلة عن هيرتون تقع مدينة كرانون. ويزعمون أنه عندما يقول هوميروس «كلاهما من تراقيا»[13] وما إلى ذلك، فإنه يقصد «بالإيثيريين» الكرانونيين، و«بالفليغيانيين» الهيرتونيين. وعلى الجانب الآخر [من بينييوس] تقع بييريا (Exc. Vat.).

15- يجري نهر بينييوس عبر وادي تيمبييوس، ويبدأ مجراه من جبل بيندوس؛ ومن ثمّ يمرّ مجراه عبر وسط تساليا وأرض اللابيثيين والبيريبيين؛ وبعد ذلك يستقبل بينييوس رافده، نهر يوروب الذي دعاه هوميروس تيتاريسيوس، ويفصل مقدونيا في الشمال، وتساليا في الجنوب. وتبدأ ينابيع يوروب من جبل تيتاريوس المجاور للأوليميب. وينتمي الأوليميب لمقدونيا، وأوسا وبيليون لتساليا (Exc. Vat.).

15a- وبحسب الجغرافي أن بينييوس يبدأ مجراه من جبل بيندوس الذي يقطن عنده البيريبيون. وعن بينييوس يقول سترابون الآتي: يأخذ بينييوس مبتداه من على جبل بيندوس. ويجري تاركاً على جانبه اليساري تريكا، ليلتف حول أتراك ولا ريسا؛ ثمّ يستقبل أنهار تساليا ويمرّ عبر وادي تيمبييوس؛ وإذ يجري عبر وسط تساليا، فإن هذا النهر يستقبل كثيراً من الروافد؛ ومن ثمّ يأخذ بينييوس في مجراه جبل الأوليميب على يساره، وجبل أوسا على يمينه. وعند مصبّ بينييوس على الجهة اليمنى تقع مدينة الماغنيتيين هيرتون التي ملك فيها بيريفوي وإيكسيون. وغير بعيد عن هيرتون تقع مدينة كرانون التي دعي سكّانها على خلاف ذلك «إيثيريين» تماماً كما دعي سكّان هيرتون «فلغيانيين» (Eustath. ad Iliad. II, 750).

16- تحت منحدرات الأوليميب، وعلى طول مجرى نهر بينييوس تقع مدينة هيرتون، وهي مدينة بيريبية ماغنيتية، كان يحكم فيها بيريفوي وإيكسون. وتقع كرانون على بعد 100 مرحلة عن هيرتون؛ ويقال، إنه عندما قال هوميروس «كلاهما من تراقيا»، كان يقصد «بالإيثيريين» الكرانونيين، و«بالفليغيانيين» الهيرتونيين[14] (Exc. ed.).

16a- وعلى حدّ قول سترابون، إن مدينة كرانون تقع على بعد 100 مرحلة عن هيرتون (Steph. Byz. Homalion s.v.).

16b- هومووليوس، مدينة مقدونية وكذلك مغنيسيا، كما يقول سترابون في الكتاب VII (Steph. Byz. Homolion s.v.)

16c- لقد كنت أشرت في وصفي لمقدونيا، إلى أن هومووليوس تقع عند أوسا،

هناك حيث يبدأ بينييوس يسكب مياهه في البحر بعد أن يكون قد جرى عبر وادي تيمبييوس (Strabo, IX, V, 22).

16d- لقد كان هناك كثير من المدن التي تدعى إيثيرا، إذا كان الجغرافي قد أحصى فعلاً تسعاً منها (Eustath ad iliad, II, 659).

16e- يتحدّث الجغرافي عن المدينة الماغنيتية هيرتون الواقعة على مقربة من مصبّ بينييوس (Eustath. Ad illad, XIII, 301).

17- إن مدينة ديون الواقعة على منحدرات الأوليميب، لا تقع على ساحل خليج ثيرمييوس، بل على ما يقارب 7 مراحل عنه. وعلى مقربة من مدينة ديون تقع قرية بيمبلييا، حيث عاش أورفيوس. (Exc. ed).

18- عند سفوح الأوليميب تقع مدينة ديون؛ وغير بعيد عنها تقع قرية بيمبلييا. ويقال إن أورفيوس الكيكوني والساحر قد عاش هنا، ويروى أنه كان أوّل من بات يكسب المال من الموسيقا، والتنبؤات، وتأدية الطقوس السرية التي ترتبط بعملية التكريس في المسرحيات الدينية، ثمّ بعد أن رأى هذا أنه يستحق أكثر، جمع حشداً من المناصرين واكتسب أهمية كبيرة. وقد تبعه بعضهم طوعاً، لكنّ آخرين ارتابوا بوجود مؤامرة وعنف، فاتحدوا في عصيان وأهلكوه. وغير بعيد من هنا تقع مدينة ليبيثرا (Exc. Vat).

19- في الأزمنة الماضية كان المتنبّئون يمارسون الموسيقا أيضاً (Exc. ed.).

20- بعد ديون يأتي مصبّ هالياكمون؛ ثمّ بيندوس، وميثونا، وآلور ونهر إريغون، ونهر لوديوس. ويجري إريغون من منطقة التريكلاريين عبر أرض الأوريستيين وبيليبيا[15]، تاركاً هذه المدينة على يمينه ليلتقي مع نهر أكسي؛ ونهر نوديوس نهر صالح للملاحة مع مجراه إلى فوق حتّى بيلا، مسافة 120 مرحلة. وتقع مدينة ميثونا بين نهر بيندوس ومدينة آلور: على بعد حوالي 40 مرحلة من الأول و70 مرحلة من الثانية. وتقع آلور في أقصى زاوية من خليج ثيرمييوس، وتدعى تسالونيكيا تبعاً للمجد الذي بلغته. ويعدون آلور مدينة بوتية، وبيندوس نهراً بييرياً. وتنتمي بيلا إلى مقدونيا الدنيا التي يشغلها البوتيون. وكانت تقع هنا في الأزمنة السابقة خزنة المقدونيين. وفي بادئ الأمر لم تكن لهذه المدينة أهمية تذكر، لكنّ فيليب أعلى شأنها، ففيها كان قد تلقى تربيته. وفي المدينة قلعة على بحيرة تدعى لوديوس. ومن هذه البحيرة ينبجس نهر لوديوس، أمّا البحيرة نفسها فيملؤها تيار مائي ما من نهر أكسي. ويصبّ أكسي في

obeikandl.com

البحر بين خالاسترا وثيرما. وثمّة على هذا النهر موقع حصين يدعى الآن أبيدون، ولكنّ هوميروس يدعوه أميدون. ويقول هوميروس، من هنا جاء إلى طروادا البيونيون، حلفاء للطرواديين [وكانوا].

يعيشون في بلدان أميدون، بعيداً،

حيث ينحدر أكسي الواسع.

(الإلياذا II، 849)

وقد دمّر الأرغياديون هذا الموقع (Exc. Vat.).

20a- أبيدون، أبيدونا، هو مكان في مقدونيا، كما يقول سترابون (Steph. Byz. Abydon, s.v.).

21- يحمل أكسي مياهاً عكرة؛ ولكنّ هوميروس[16] يدعوه «أكسي الأبهى مياهاً»، وربّما كان ما قاله هوميروس هنا بسبب الينبوع المسمّى إيبيا؛ فهذا الأخير يحمل إلى هذا النهر أنقى المياه، وهذا ما يؤكّد عدم صحّة القراءة[17] المعتادة الآن لهذا المكان من ملحمة هوميروس. وبعد 20 مرحلة من أكسي يأتي نهر إيخيدور، ثمّ بعد 40 مرحلة مدينة تسالونيكيا التي أسّسها كاساندروس، ثمّ تأتي طريق إيغناتيوس. وقد دعا كاساندروس هذه المدينة باسم زوجته تسالونيكي، وهي ابنة فيليب ابن أمينتا؛ فبعد أن دمّر في كروسيدا وخليج ثيرمييوس حوالي 26 مدينة، نقل سكّانها وأسكنهم في مدينة واحدة. وهذه المدينة هي المدينة الرئيسة في مقدونيا المعاصرة. وقد ضمت هذه المدينة الواحدة أبوللونيا، وخالاسترا، وثيرما، وهاريسك، وإينييا، وكيسوس؛ وربّما كانت لهذه الكيسوس علاقة ما بكيسيوس الذي يأتي هوميروس على ذكره لدى حديثه عن إيفيداماس:

لقد رباه كيسيوس منذ أن كان في المهد.

(الإلياذا XI، 223)

21a- كروسيدا؛ جزء من ميغدونيا. سترابون في الكتاب VII (Steph. Byz. Krusis s.v.).

21b- خالاسترا، مدينة في تراقيا عند خليج ثيرمييوس. ولكنّ سترابون يدعوها في الكتاب VII، مدينة مقدونية (Steph. Byz, Chlastra).

22- وبعد ديون يأتي نهر هالياكمون، الذي يصبّ في خليج ثيرمييوس. وتقع

obeikandl.com

على الساحل مدينة بيدنا التي تسمى الآن كيتر. ثمّ تليها مدينتا ميثونا، وآلور، وبعدهما نهر إريغون، ونهر لوديوس؛ ومن لوديوس[18] إلى مدينة بيلا النهر صالح للملاحة صعوداً مع التيار مسافة 120 مرحلة. ومن ميثونا إلى بيدنا 40 مرحلة، وإلى آلور 70 مرحلة. وبيدنا هي مدينة بييرية، أمّا آلور فهي مدينة بوتيية. وفي السهل الذي أمام بيدنا هزم الرومان برسيوس ودمّروا المملكة المقدونية[19]؛ وفي هذا السهل نفسه أمام ميثونا نزلت بفيليب ابن أمينتا في أثناء حصار هذه المدينة، نازلة: لقد اقتلعت عينه اليمنى قذيفة منجنيق (Exc. ed.).

23- ولم تكن مدينة بيلا كبيرة، لكن فيليب الذي تربى فيها، وسّعها إلى درجة ملحوظة. وأمام المدينة بحيرة ينبجس منها نهر لوديوس؛ والبحيرة نفسها تمتلئ من مياه أحد فروع نهر أكسي. ثمّ يأتي نهر أكسي الذي يقسم بيوتيا وأرض أمفاكسيتيدس؛ وبعد أن يستقبل نهر إريغون رافداً له، يصبّ أكسي في البحر بين خالاسترا وثيرما. ويقع على نهر أكسي مكان يدعوه هوميروس[20] أميدون ويقول، من هنا جاء إلى أسوار طروادا لمدّ يد العون، البيونيون [الذين]

يعيشون في بلدان أميدون بعيداً، حيث ينحدر أكسي الواسع

(*الإلياذا* II، 849)

وعلى أيّ حال، بما أن مياه أكسي عكرة، وثمّة ينبوع ما ينبع من أميدون، ويخلط «مياهه الصافية» بمياه النهر، لذلك فإنهم يغيّرون البيت التالي:

يروي أكسي إيبيا المقدّس بأنقى المياه

(*الإلياذا* II، 250)

ليصبح:

أكسي الذي يرتوي بمياه إيبيا المقدّس الأصفى.

وفعلاً تسكب على وجه الأرض مياه أكسي التي ليست «الأنقى»، لكنّ مياه الينبوع تجري في النهر (Exc. ed.).

23a- بحسب بعضهم أن كلمة aia في قوله epikidnatai aiei أو[21] aian (لأنها تكتب بالوجهين)، لا تعني «أرضاً»، بل ينبوعاً معروفاً، وهذا ما يتّضح من قول الجغرافي: لقد كان أميدون يدعى من قبل عند هوميروس أبيدون، لكنّ المدينة دمّرت؛ وهناك على مقربة من أميدون ينبوع يدعى إيبيا[22]، يسكب مياهاً صافية نقية في نهر

أكسـي الـذي يمتلـئ بميـاه كـثير مـن الأنهـار، لكنّـه مـع ذلـك يحمـل أمواجـاً عكـرة. ولذلك فهو يقول: إن القراءة المعتادة المتعارف عليها

يحمل أكسي أنقى المياه إلى إيبيا المقدّس

ليست قراءة صحيحة، لأنه من الواضح أنه ليست مياه أكسي هي التي تصبّ في الينبوع، بل العكس. ثمّ يرفض الجغرافي بعد ذلك بشيء من النزق، التأويل الـذي يـدغم إيبيا والأرض، ومـن الواضـح أنـه يريـد أن يرمـي نهائيـاً هـذا التعبير مـن ملحمـة هـوميروس (Eustath ad Iliad. II, 850).

24- وبعد نهر أكسي تأتي مدينة تسالونيكيا الـتي كانـت تـدعى سـابقاً ثيرمـا. وكـان كاسـاندروس هـو الـذي أسّسها ودعاها باسم زوجته، ابنـة فيليـب ابـن أمينتـا. وقـد نقل فيليـب إلى هنـا سـكّان عـدد مـن مـدن الضـواحي الصـغيرة مثل خالاسـترا، وإينييـا، وكيسوس وبعض المـدن الصـغيرة الأخـرى. وإلى هـذه الكيسـوس مـن المفترض أن ينتمـي إيفيـداماس الـذي ربـاه كيسـيوس في تراقيـا (كمـا يقـول هـوميروس) الـتي تـدعى الآن مقدونيا (Exc. ed.).

25- وفي مكـان ما هنا يقع جبل بيرمي الذي كانت تشغله سابقاً قبيلة البريغيين التراقيـة. فتوجـه قسـم منهـا إلى آسـيا وبـدّل هـؤلاء اسمهـم فبـاتوا يـدعون فـريجيين. وبعـد تسالونيكيا يأتي الباقي من أجزاء خليج ثيرمييـوس وصـولاً إلى كاناسـتري. وهـذه رأس بحرية تشكّل شبه جزيرة قبالة ماغنيتيدا. وتدعى شبه الجزيرة هذه شبه جزيـرة باللينـا؛ وفيها برزخ عرضه 5 مراحل شقّت فيـه قنـاة. وتقـع علـى هـذا الـبرزخ مدينـة بوتيـديا الـتي أسّسها الكورينثيون، ثمّ سميت فيما بعد، كاسـاندريا علـى اسـم الملـك كاسـاندروس نفسـه الـذي أعـاد بناءهـا بعـد أن دمّـرت. ويبلـغ امتـداد الطريـق البحريـة حـول هـذه الشـبه الجزيرة 570 مرحلة. ويقال إن العمالقة عاشوا هنا مـن قبـل، وكانـت هـذه الـبلاد تـدعى فليغرا[23]، ويصـوّرهم الـبعض في الروايـات الأسـطورية، وبعضـهم الآخـر بروايـات أكـثر قرباً إلى الواقع، قبيلة بربريـة كـافرة كانـت تملـك هـذا المكـان لكـنّ هرقـل أبادهـا، بينما كان عائداً إلى مسقط رأسـه بعـد الاسـتيلاء علـى طـروادا. وحسـب الحكايـات أن النسوة الطرواديات اللواتي اقترفن الجريمة، أحرقن السفن كـي لا يحـوّلن إلى إمـاء لـدى زوجات أولئك الذين سيأخذونهن أسيرات[24] (Exc. Vat.).

25a- يشير الجغرافي إلى أن البريغيين كـانوا يسمون فـريجيين أيضـاً (Eustath. ad Odyss. I 101).

26- وتقع مدينة بيريا عند سفوح جبل بيرمي (Exc. ed.).

27- في الزمن القديم كانت شبه الجزيرة التي تقع على برزخها بوتيديا السابقة، وهي الآن كاساندريا، كانت تدعى فليغرا. وقد سكنها العمالقة، وهم قبيلة مستهترة متهتكة أبادها هرقل. وفي شبه الجزيرة هذه أربع مدن: أثيتيس، وميندا، وسكيونا، وسانا (.Exc. ed).

27a- من الواضح أن [ديميتري] السكيبسيسي لا يستحسن ما يفترضه إيثور، ولا يوافق الكتّاب الذين يعتبرونهم[25] الغاليزونيين الذين يعيشون عند باللينا؛ وأنا كنت قد ذكرتهم لدى وصف مقدونيا (Strabo, XII, III, 22).

28- تقع أولينث على بعد 70 مرحلة من بوتيديا (.Exc. Vat).

29- محطة أولينث الشراعية، هي ميكيبيرنا التي على خليج تورونييوس (.Exc.ed).

30- غير بعيد عن أولينث ثمّة مكان في منخفض يدعى كونفاروليثون[26]، أي حشرة كونفار التي تكثر في الأطراف ولا تهلك إلا إذا اقتربت من هذا المكان (.Exc.ed).

31- بعد كاساندريا مباشرة يأتي ما تبقى من ساحل خليج تورونييوس حتّى ديريوس. وهذه الأخيرة هي رأس بحرية قبالة كاناستر، التي تشكّل الخليج. وقبالة ديريوس نحو الشرق تعلو رؤوس أفون البحرية[27]؛ وفي الوسط يقع الخليج السينغيتي المسمّى على اسم المدينة القديمة سينغ الواقع عليه، لكنّها الآن مدمّرة. وتأتي بعد هذه المدينة مدينة أكانث الواقعة على برزخ أفون، وكان الأندروسيون هم الذين بنوها؛ ويدعو كثيرون هذا الخليج بخليج أكانث (.Exc. Vat).

32- وقبالة كاناستر، ورأس باللينا البحرية، تقع ديريوس، وهي رأس بحرية واقعة على مقربة من ميناء كوف؛ وتفصل هاتان الرأسان معاً خليج تورونييوس. وإلى الشرق تقع رأس أفون أيضاً، التي تفصل الخليج السينغيتي، وهكذا فإن خلجان بحر إيجة يتتالى واحدها إثر الآخر مباشرة نحو الشمال، مع أن واحدها يبعد عن الآخر مسافة ملحوظة وفق الترتيب الآتي: خليج ماليوس، خليج باغاسيت، خليج ثيرمييوس خليج تورونييوس، خليج سينغيت، خليج ستريمون. أمّا فيما يخصّ الرؤوس البحرية، فإن بوسيديوس تقع بين الخليج الماليوسي والخليج الباغاسيتي، وبعده مباشرة نحو الشمال تقع رأس سيبيا؛ ثمّ تأتي رأس كاناستر في باللينا، تليها ديريوس، فنيمفييوس في أفون وعلى الخليج السينغيتي، وتقع على الخليج الستريموني رأس أكرانثوس؛ وبين هاتين الرأسين البحريتين الأخيرتين، يقع جبل أفون، وإلى الشرق منه، تقع جزيرة ليمنوس؛ ويحد خليج ستريمون من جهة الشمال نابولي (.Exc. ed).

33- أكانث مدينة ساحلية واقعة على الخليج السينغيتي على مقربة من قناة كسيراكس. وعلى أفون 5 مدن. ديون، كليونا، فيس، أولوفيكسي وأكروفون. وتقع هذه الأخيرة عند قمة أفون، ولجبل أفون هيأة تشبه شكل صدر المرأة، فهو حادّ جدّاً وعال جداً. والذين يعيشون فوقه يرون شروق الشمس قبل ثلاث ساعات من رؤية سكّان الساحل له. ويبلغ امتداد الطريق البحرية حول شبه الجزيرة من مدينة أكانث حتّى مدينة ستاغيرا، وهي مدينة أرسطو، 400 مرحلة. وثمّة على الساحل ميناء تدعى كابر، وجزيرة تحمل اسم الميناء نفسه. ثمّ يلي ذلك ثغر خليج ستريمون، وبعده فاغريس، وهاليبس، وأبوللونيا؛ وهذه كلّها مدن. ويأتي بعد ذلك مصبّ نهر نيست الذي يشكّل الحدّ الفاصل بين مقدونيا وتراقيا، كما حدّده في حينه فيليب والإسكندر. وهناك عند خليج ستريمون مدن أخرى، مثلاً ميركين، وآرغيل، ودرابيسك، ودات. وتتوفّر هذه الأخيرة على أراض خصبة رائعة، وترسانات لإصلاح السفن، ومناجم ذهب. ومن هنا جاء المثل القائل: «دات مليئة بالخيرات كلّها»، ومثله المثل الآخر الذي يقول: «كرات الخير» (Exc. ed.).

34- ويوجد كثير من مناجم الذهب في كرينيدا، حيث على مقربة من جبل بانغييوس تقع الآن مدينة فيليبا. وفي جبل بانغييوس نفسه مناجم ذهب وفضّة، كما على هذا الجانب وذاك من نهر ستريمون وصولاً إلى بيونيا، ويروى أنه حتّى الفلاحين في بيونيا يعثرون على فلذات الذهب وهم يحرثون أراضيهم (Exc. ed.).

35- إن جبل أفون جبل شاهق يشبه صدر المرأة. والناس الذين يعيشون عند قمته، لدى شروق الشمس يكونون قد تعبوا من الفلاحة، بينما بالكاد يكون قد صاح الديك في مثل هذا الوقت عند الذين يعيشون على الساحل. وكان يملك على هذا الساحل ثاميريس التراقي الذي كانت له مهنة أورفيوس عينها. كما يرونك هنا أيضاً قناة عند أكانث، يقولون إن كسيراكس كان قد أمر بحفرها عبر أفون، ثمّ بعد أن أطلق مياه البحر فيها قاد أسطوله عبر البرزخ من خليج ستريمون. ولكنّ ديميتري السكيبسيسي لا يرى أن القناة كانت صالحة للملاحة في أي زمن كان. والحقيقة أنه على الرغم من أن تربة البرزخ كانت جيّدة مسافة 10 مراحل، وملائمة للحفر، وأنه ثمّة قناة قد حفرت بطول بليفر، لكنّ صفحة صخرية امتدت بعد ذلك بطول يقارب المرحلة، وكانت هذه عالية وعريضة إلى درجة لو أمكن شقّ هذه الصخرة حتّى البحر، فإن ذلك لم يكن ممكناً إلى عمق يتيح أن تكون القناة صالحة للملاحة. ويضيف ديميتري أن الإسكندر ابن أنتيباتر قد أسّس هناك مدينة أورانوبوليس[28] بمحيط

امتـداده، 30 مرحلـة. لقـد عـاش علـى هـذه الشـبه الجزيـرة بيلاسـيغيس مـا، جـاؤوا مـن جزيـرة ليمنـوس، وانقسـموا إلى خمـس مشـاعات: الكليونيـون، والأولوفيكسـيون، والأكروفوي، والديون، والفيسيون. وبعد أفون يأتي خليج ستريمون الذي يمتدّ حتّى نهر نيست الذي رأى فيه فيليب والإسكندر حدّ مقدونيا. وبكلام أدق، ثمّة رأس بحرية هنا تشـكّل مـع أفـون خلـيج سـتريمون، وهـذه الـرأس هـي الـرأس الـتي تقـع عليهـا مدينـة أبوللونيا[29]. وأوّل مدينة على الخليج بعد ميناء الأكانتيين، هـي مدينـة سـتاغيرا الخاليـة اليوم من سكّانها، وهذه المدينة هـي مسقط رأس أرسطو؛ وقـد أسّسـها الخلكيديون، ومثلها أيضاً ميناؤها كابر الذي يحمل اسم الجزيرة الصغيرة. ثمّ يأتي ستريمون الصـالح للملاحـة صـعوداً مسـافة 20 مرحلـة حتّـى أمفيبـوليس. وهـذه الأخـيرة أسّسـها الأثينيـون؛ وتقـوم هـذه المدينـة في المكـان الـذي يـدعى إينييـا غـودوي[30]. ثـمّ تـأتي مـدينتا هـاليبس وأبوللونيا اللتان دمّرهما فيليب (Exc. Vat.).

36- يقـول سترابون، إن المسـافة مـن بينييـوس إلى بيـدني 120 مرحلـة. وتقـع علـى طول ضفّة سـتريمون نـابولي، مدينـة الـداتيين؛ ودات نفسـها الـتي يقـع في أراضـيها سـهل خصب، وبحيرة، ونهر، وترسانة إصلاح سفن، ومناجم ذهب ذات ريعيـة عاليـة. ومـن هنـا جاء المثل القائل: «دات[31]، هـي [مجمـع كـل] الثـروات»، ومثلـه المثـل الآخـر الـذي يقـول: «كـرات الخـير». ويشـغل الأودومـانتيون، والإيـدونيون، والبيسـالتيون الـبلاد علـى ذلـك الجانـب مـن سـتريمون، أي سـاحل البحـر وضـواحي دات؛ وهـؤلاء السـكّان بعضـهم محلّيون، وبعضهم الآخر وافدون من مقـدونيا، وقـد ملـك علـيهم ريس. وإلى الأعلـى مـن إمفيبـوليس حتّـى مدينـة هيراقليـا، سـكن البيسـالتيون وامتلكـوا واديـاً خصـباً. وهـذا الأخير يقسمه نهر ستريمون إلى شطرين، ويبدأ هذا النهر مجراه مـن منطقـة الأغريـانيين الـذين يسـكنون عنـد رودوبـا. وتتجـاور مـع هـذه المنطقـة منطقـة بارورببيليـا الـتي تتبـع مقـدونيا؛ وفي شـطرها الـداخلي، علـى طـول الـوادي الـذي يبـدأ مـن إيـدومينا، تقـع مـدن كـالليبوليس، وأورفوبـوليس، وفيليبوبـوليس، وهاريسـك. وفي منطقـة البيسـالتيين إذا صعدت إلى الأعلـى مـع مجـرى سـتريمون، تقـع أيضـاً قريـة بيرغـا علـى بعـد 200 مرحلـة تقريباً من أمفيبوليس. أمّا إذا سرت إلى الشمال من هيراقليـا، بحيـث يكـون النهـر علـى الجهة اليمنى، فإنك تصل إلى ثغور ضيّقة يجري عبرها نهـر سـتريمون. وعلـى اليسـار تقـع بيونيا وضواحي دوبير، ورودوبـا، وجبـل جيمـوس، وعلـى اليسـار منطقـة جيمـوس. وعلـى هذا الجانب من ستريمون، عند النهر مباشرة، تقـع سـكوتوسـا، وعلـى بحيرة بولبـا تقـع مدينـة أريفوسـا. وإضـافة إلى ذلـك يـدعى الـذين يسـكنون حـول هـذه الـبحيرة، بشـكل

رئيس، ميغدونيين. ومن بلاد البيونيين لا ينبع نهر أكسي وحده، بل ينبع منها ستريمون كذلك. فهذا النهر يجري من منطقة الأغريانيين عبر أرض الميدويين والسينتيين ليصبّ في البحر بين منطقتي البيسالتيين والأودومانتيين (Exc. Vat.).

37- يبدأ نهر ستريمون مجراه من منطقة الأغريانيين الذي يسكنون حول جبل رودوبا (Exc. ed.).

38- ويرى بعضهم أن البيونيين وافدون جاؤوا من فريجيا، بينما يقر آخرون بأنهم الأسلاف المؤسّسون لهذه القبيلة، وبيونيا كما يقولون، كانت تمتدّ حتّى بيلاغونيا وبييريا، وكانت تدعى سابقاً أوريستييا؛ وهناك شيء من المشروعية في تسمية أحد الزعماء الذي قاد حملة إلى أسوار طروادا من بيونيا، ابن بيليغون، فالبيونيون أنفسهم كانوا يسمون بيلاغونيين (Exc. Vat.).

39- ووفق الروايات إن أستروبييوس[32] ابن بيليغون الذي ورد ذكره عند هوميروس، كان من بيونيا التي في مقدونيا. ولذلك دعوه ابن بيليغون. فالبيونيون أنفسهم كانوا يسمون بيلاغونيين (Exc.ed.).

40- بما أن الإغريق يسمون paianismos [33] التراقيين titanismos[34] محاكاة لنداء النفير في البيانات(*)، فإن الطيطانيس أيضاً كانوا يسمّون بيلاغونيين (Exc. ed.).

41- في الزمن القديم امتلك البيونيون، ومن الواضح أنهم يمتلكون الآن أيضاً، شطراً كبيراً من مقدونيا المعاصرة، فقد حاصروا بيرينثوس، بل وأخضعوا لسلطانهم كلّ كريستونيا وميغدونيدا، وكذلك أرض الأغريانيين حتّى جبل بانغييوس. وتقع فيليبا وضواحيها إلى الأعلى من ساحل خليج ستريمون، من هاليبس حتّى نيست. وكانت فيليبا تدعى في الماضي كرينيدا. وكانت هذه قرية صغيرة اتسعت بعد هزيمة بروتوس وكاسيوس[35] هنا (Exc. Vat.).

42- كانت مدينة فيليبا الحالية تدعى قديماً كرينيدا(Exc. ed.)

43- أمام هذا الساحل جزيرتان، هما ليمنوس وفاسوس. وخلف مضيق فاسوس تأتي أبديرا ومناطق ترتبط في الأساطير باسم أبديروس. وكان يعيش على الساحل البيستونيون التراقيون الذين كان يحكم فيهم ديوميدس. ولا يبقى نهر نيست دائماً في المجرى عينه، بل يغرق البلاد بفيضانه في كثير من الأحيان. ثمّ تأتي ديكييا، وهي

(*) - أناشيد النصر- ح. إ.

مدينة واقعة في الخليج، وهي ميناء أيضاً. وإلى الأعلى منها تقع بيستونيدا، وهي بحيرة يبلغ محيطها حوالي 200 مرحلة. ويقولون إن هذا السهل كان كلّه منخفضاً أدنى من سطح البحر. فعندما رأى هرقل إنه كفارس، أضعف من عدوه إذ جاء إلى هنا ليسرق مهرات ديوميدس، شقّ قناة عبر الشاطئ وانحدر بمياه البحر إلى السهل وهزم أعداءه. ويرونك هناك قصر ديوميدس الذي دعي كارتيرا كومي[36] بهذه المناسبة، بسبب حصانته الطبيعية. وبعد البحيرة التي تقع في وسط البلاد، تأتي مدن الكيكونيين: كسانتيا، ومارونيا، وإيسمار. لكنّ هذه الأخيرة تدعى اليوم «إيسمارا الواقعة قرب مارونيا». وغير بعيد من هنا تسكب بحيرة إيسماريدس مياهها. ويدعى تيار البحيرة أوديسيوس. كما تقع هنا أيضاً فاسيون كيثالايوس[37]. وفوق هذه القمم يعيش السابيون (Exc. Vat.).

44- وتقع توبيرا غير بعيد عن أبديرا ومارونيا(Exc.ed.).

44a- ويقال إن إيسمار التي ذكرت هنا، ثمّ باتت فيما بعد تدعى إيسمارا، هي مدينة صغيرة للكيكونيين، وتقع غير بعيد عن مارونيا، وثمّة بحيرة هناك أيضاً يدعى تيارها أوديسيوس؛ ويقول الجغرافي، إن معبد البطل مارون يقوم هنا (Eustath ad. Odyss. IX, 30).

45- والسينتيون شعب تراقي كان يقطن جزيرة ليمنوس، ولذلك يدعوهم هوميروس سينتيين:

هناك الرجال السينتيون [على الرحب والسعة] استقبلوني

(الإلياذا I، 594)

45a- ليمنوس: سكنها التراقيون أولاً، وبحسب سترابون أن هؤلاء كانوا يدعون سينتيين (Steph. Byz. Lemons, s. v.).

46- وراء نهر نيست إلى الشرق تقع مدينة أبديرا التي حملت اسم أبدير نفسه الذي افترسته أفراس ديوميدس. وبعدها على مقربة تقع مدينة ديكييا التي تقع إلى الأعلى منها بحيرة كبيرة، هي بحيرة بيستونيدا وبعد ذلك تأتي مدينة مارونيا(Exc. ed).

47- تتكون تراقيا كلّها من 22 شعباً، ولا يزال بإمكانها أن تجند على الرغم من الإنهاك التام، 15.000 فارس و200.000 جندي من المشاة. وتأتي بعد مارونيا مدينة أورفاغوريا، ومكان عند سرييوس (حيث الملاحة عند الشاطئ متعذرة). ثمّ مدينة

تيمبيدا، وهي مدينة صغيرة للساموتراقيين؛ فمدينة صغيرة أخرى، هي كاراكوما التي تقع أمامها جزيرة ساموتراقيا، وإيمبروس التي لا تبعد كثيراً عن ساموتراقيا. أمّا فاسوس فتبعد عن هذه الأخيرة ضعف المسافة تقريباً ويأتي بعد كاراكوما دوريسك حيث أعاد كسيراكس إحصاء جحافله؛ ثمّ يأتي نهر جيبر الصالح للملاحة صعوداً مع تياره مسافة 120 مرحلة، حتّى كيبسيلا. وعلى حدّ قول سترابون إن حدود مقدونيا كانت هنا؛ وهذه الأخيرة سلبها الرومان من برسيوس، ثمّ من فيليب المنحول[38]. فبعد أن انتصر باولوس[39] على برسيوس ألحق القبائل الإبيرية بمقدونيا وأعطى البلاد تقسيماً إدارياً رباعياً [جديداً]: ألحق شطراً بأمفيبوليس، وشطراً بتسالونيكيا، وشطراً ببيلا، وشطراً بالبيلاغونيين. وعلى ضفتي جيبر يقطن الكوربيليون، وإلى الأعلى مع مجرى النهر يقطن البرينيون، ويأتي البيسيون في الآخر، لأنّ النهر صالح للملاحة حتّى هذه المنطقة. وهذه القبائل كلّها تمارس النهب والسلب، خاصة البيسيين الذين يدعوهم سترابون جيران الأودريسيين والسابيين. وكانت بيزيا عاصمة الآستيين. ويدعو بعضهم كلّ الذين يعيشون على الساحل من جيبر وكيبسيلا حتّى أوديسيوس، أي القبائل التي ملك عليها أمادوك، وكيرسوبليبت، وبيريساد، وسيفث، وكوتيس، يدعونهم أودريسيين (Exc. Vat.).

47a- الأودريسيون: قبيلة في تراقيا. سترابون في الكتاب VII (Steph. BYZ. (Odrysai, s.v.

47b- وإذ يشير الجغرافي إلى امتداد تراقيا الشاسع يقول، إن تراقيا كلّها تتألف من 22 شعباً (Eustath ad. Iliad. II, 844).

48- ويحمل النهر التراقي اليوم اسم ريجينيا، بينما كان اسمه سابقاً إريغون. (Exc. ed.).

49- ياسيون وداردانوس شقيقان عاشا في ساموتراقيا. وبعد أن ضربت الصاعقة ياسيون عقاباً له على إهانته ديميترا، رحل داردانوس من ساموتراقيا وأقام عند سفح جبل إيدا؛ [والمدينة التي أسّسها هناك] دعاها داردانيا، وعلّم الطرواديين المسرحيات الدينية الساموتراقية. وكانت ساموتراقيا تدعى في الأزمنة السابقة ساموس(Exc. ed.).

50- يدغم كثيرون الآلهة التي يبجلونها في ساموتراقيا بالكبيري، بيد أنهم مع ذلك عجزوا عن توضيح ماهية الكبيري، أو الكيريانتي، أو الكوريبانتي؛ كما يدغم بهم على النحو عينه الكوريتي والداكتيلي الإيديون (Exc. Vat.).

50a- وبحسب الجغرافي أن هذه الجزيرة التراقية تدعى ساموس بسبب ارتفاعها. وعلى حدّ قوله فإن Samoi فعلاً تعني «ارتفاع» [....]. ويقول الجغرافي، إن الساموسيين الذين من ميكال قد سكنوا الجزيرة في الزمن القديم، ولكنّ هذه خلت من سكّانها بسبب شح القوت، لذلك دعوها ساموس [....]. ويخبرنا الجغرافي أن ساموتراقيا كانت تسمى في الأزمنة الماضية ميليتا، وأنها كانت غنية بالخيرات. وبحسب روايته، أن القراصنة الكيليكيين أغاروا على معبد ساموتراقيا واستولوا على أكثر من 1000 تالانت (Eustath ad. Iliad, XIII, 12).

51- عند مصبّ جيبر الذي يصبّ في البحر بفرعين في خليج ميلان، تقع مدينة إينوس التي أسّسها الميتيلينتيون والكوميسيون، وقبلهم الألوبيكونيسيون. وتأتي بعد ذلك رأس سابيدون البحرية وما يدعى كيرسونيس التراقية التي تشكّل البروبونتيدا، فخليج ميلان، والهليسبونت. فإلى الجنوب الشرقي تبرز الرأس البحرية التي تصل بين آسيا وأوروبا بمضيق عرضه 7 مراحل بين أبيدوس وسيستوس تاركة البروبونتيدا على يسارها وخليج ميلان على يمينها؛ وقد دعي الخليج بهذا الاسم نسبة إلى نهر ميلان الذي يصبّ فيه (كما يقول هيرودوت [40] وإيفدوكس). ويقول سترابون، إنه على حدّ قول هيرودوت[41] إن الماء في هذا النهر لم يكن كافياً لسد حاجات جيوش كسيراكس. ويغلق الرأس المذكورة برزخ بأربعين مرحلة. وتقع في وسط البرزخ مدينة ليسيماخيا التي حملت اسم الملك الذي أسّسها. وعلى جانبي البرزخ، في خليج ميلان، تقع مدينة كارديا، وهي أكبر مدن كيرسونيس. وقد أسّس المدينة الميلتوسيون والكلازوميتيون، وفيما بعد انضمّ إليهم الأثينيون؛ وعلى البروبونتيدا تقع مدينة باكتيا. ويأتي بعد كارديا دراب وليمنا، ثمّ آلوبيكونيس التي ينتهي عندها تقريباً خليج ميلان، وتلي ذلك الرأس البحرية الكبيرة مازوسيا؛ وبعدها في الخليج إيليونت[42]، حيث يقع معبد بروتيسيلايوس، وقبالته على بعد 40 مرحلة تقع سيغييوس، رأس طروادا البحرية. وهذه الرأس هي تقريباً آخر أطراف كيرسونيس، وهي تقع على مسافة أكثر بقليل من 400 مرحلة عن كارديا. وإذا ما أبحرت حول البرزخ نحو جانبه الآخر، فإن المسافة المتبقية ستكون أبعد من هذه بقليل (Exc. Vat.).

51a- إينوس، هي مدينة في تراقيا، تدعى ابسينث. سترابون في الكتاب VII. وتقع مدينة إينوس عند مصبّ نهر جيبر الذي له مصبّان؛ وهذه المدينة أسّسها الكوميسيون، ودعيت باسمها هذا لأنّ نهر إينيوس يجري هناك، وعلى مقربة من أوسا كانت تقع قرية تحمل الاسم نفسه (Steph Byz. Ainos, s.v.).

obeikandi.com

52- تشكّل كيرسونيس التراقية ثلاثة بحار: في الشمال البروبونتيدا، وفي الشرق الهليسبونت، وفي الجنوب خليج ميلان، الذي يصبّ فيه نهر ميلان حامل الاسم عينه (Exc. ed.).

53- وتقع على برزخ كيرسونيس ثلاث مدن: كارديا على مقربة من خليج ميلان، وباكتيا على مقربة من البروبونتيدا، وليسيماخيا في الشطر الداخلي من البلاد. ويبلغ عرض[43] البرزخ 40 مرحلة (Exc. ed.).

54- يستخدم اسم مدينة إيلينوت في صيغة المذكر؛ وربّما كان اسم ترابيزونت يستخدم بالصيغة نفسها أيضاً (Exc. ed.).

55- وإذ نبحر على طول شواطئ كيرسونيس، بعد إيلينوت نقترب أولاً من مدخل البروبونتيدا عبر مضيق ضيّق يدعى بداية الهليسبونت. وتقع هنا رأس كينوس-سيما[44]؛ مع أن بعضهم يسميها هيكابيس- سيما[45]؛ وفعلاً، بعد أن تتجاوز الرأس يرونك قبرها. ثمّ تأتي ماديت ورأس سيسيتيدا البحرية حيث كان يقع جسر كسيراكس، وبعدها تأتي سيستوس. ومن إيلينوت حتّى الرأس التي كان يقوم عندها الجسر 170 مرحلة. وبعد سيستوس بثمانين مرحلة تأتي إيجوسباتاما، وهي مدينة صغيرة مدمّرة يقال إن حجراً سقط [من السماء] هنا في أثناء الحروب الفارسية. وبعد ذلك تأتي كالليبوليس، ومن هنا إلى لامبساك معبر إلى آسيا يمتدّ 40 مرحلة؛ ثمّ بلدة كريفوت المدمّرة، وبعدها باكتيا؛ فماكرون وتيخوس[46]، وليفكي آكتي[47]، وهيرون أوروس[48]، وبيرينثوس التي أسّسها الساموسيون؛ وبعد ذلك سيليبريا. وإلى الأعلى من هذه الأماكن تقع سيلتا، وهيرون أوروس الذي يبجله السكّان المحلّيون؛ ويعدّ هذا المكان بمثابة أكروبوليس هذه البلاد. ويسكب هيرون اوروس إسفلتاً على مقربة من المكان الذي تصل فيه بروكونيس إلى أقرب نقطة من البر: مسافة 120 مرحلة فقط. وتوجد في هذه الجزيرة مناجم كبيرة وغنية بحجر المرمر الأبيض. ويأتي بعد سيليبريا نهر أثيروس ونهر بافينوس؛ ثمّ بزنطا والأماكن التي تليها وصولاً إلى صخور الكيانيس (Exc. Vat.).

55a- بخصوص سيستوس وكيرسونيس كلّها، كنت قد تحدّثت لدى وصفي للأماكن التراقية (Strabo XIII, 22).

55B- سيستوس مستعمرة لليسبيسيين، ومثلها مثل ماديت، وبحسب الجغرافي أنها مدينة كيرسونيسية تبعد 30 مرحلة عن أبيدوس، من الميناء إلى الميناء (Steph. Byz. Sestos, s. v.).

56- ومـــن بيرينثـــوس إلى بزنطـــا 630 مرحلـــة، ومـــن جيـــبر إلى كيبســـيلا إلى بزنطا وصولاً إلى صخور الكيانيس 3100 مرحلة، كما يؤكّد أرتيميدور. وكامل المسافة من الخليج الإيوني عند أبوللونيا حتّى بزنطا 7320 مرحلة؛ ولكنّ بوليبيوس يضيف إليها 180 مرحلة أخرى، لأنه يضيف $\frac{1}{3}$ مرحلة لكل 8 مراحل الميل الواحد. ويحسب ديميتري السكيبسيسي في مؤلّفه «عن تنظيم القوات المقاتلة الطروادية»(49)، المسافة من بيرينثوس إلى بزنطا في 600 مرحلة ومثلها حتّى باري. وهو يعتمد طول البروبونتيدا في 1400 مرحلة، وعرضه في 500 مرحلة. ويرى فيما يخصّ الهليسبونت، أن أضيق عرض له 7 مراحل(50)، وأن طوله 400 مرحلة (Exc. Vat.).

57- وليس ثمّة توافق بخصوص تسمية «الهليسبونت»، فقد طرح في هذا الخصوص عدد من الآراء. فبعضهم يدعو البروبونتيدا كلّه هليسبونت، وبعضهم الآخر لا يطلق هذه التسمية إلا على جزء من البروبونتيدا على هذا الجانب من بيرينثوس. ويلحق فريق ثالث بالهليسبونت جزء البحر الخارجي الذي يتّجه نحو خليج ميلان ومياه بحر إيجة المفتوحة؛ ويعتمد بعضهم في أثناء ذلك أحد التقسيمات، بينما يعتمد آخرون تقسيماً آخر؛ فبعضهم مثلاً، يلحق بهذا، كلّ الفضاء الممتدّ من سيغيبوس حتّى لامبساك وكيزيك أو باري وبرياب؛ بل هناك كاتب لا يكتفي بهذا فيضيف إليه الفضاء الممتدّ من سيغريوس في جزيرة ليسبوس. وأخيراً هناك من لا يتردد في أن يرى أن الهليسبونت يشمل أيضاً كلّ فضاء البحر المفتوح حتّى بحر ميرتوي، لأنه على حدّ قول بينداروس في أناشيده، إن رفاق هرقل الذين أبحروا من تحت أسوار طروادا عبر «مضيق العذراء هيلا»، لم يبلغوا سوى بحر ميرتوي إذ ردتهم القهقهرى زفيروس التي هبت في وجههم، ودفعتهم إلى كوسوس. وعلى هذا النحو يريد هؤلاء أن يدعوا كلّ بحر إيجة حتّى خليج ثيرمييوس، والبحر التسالي والبحر المقدوني باسم الهليسبونت، ويدعون هوميروس ليشهد لهم على صحّة رؤيتهم. فهوميروس يقول:

غداً، إذا شئت، وإذا كان ذلك يهمّك،
ومنذ الصباح الباكر، يمكنك أن ترى كيف
تمخر الهلسبونت سفني كلّها...

(الإلياذا IX، 359)

لكنّ أبياتاً أخرى تنقض هذه الشهادة.
هذا البطل إيمبراسيد، القادم
من إينا إلى إيلون،

(الإلياذا IV، 520)

وكان هذا قائداً للتراقيين[52].

كل الذين يحتوي الهليسبونت العاصف بلدانهم.

(الإلياذا II، 845)

فالشّاعر يشير إلى أولئك[53] الذين كانوا يعيشون وراءهم [54] مباشرة خارج الهليسبونت. وفعلاً، إن إينوس تقع في إبسينفيدا سابقاً والتي تدعى اليوم كوربيليكا، بينما تقع بلاد الكيكونيين أبعد نحو الغرب (Exc. Vat.).

58- الكوربيليون: من التراقيين. سترابون في الكتاب VII؛ وكانت منطقتهم تدعى كوربيليكا؛ فإينوس تقع في ابسينفيدا سابقاً، والتي تدعى اليوم كوربيليكا (Steph Byz. Korpiloi, s.v.).

59- وبحسب سترابون في الكتاب VII، أن التتراخوريتيين من البيسيين. وقد دعوهم أيضاً تيتراكوميين (Steph Byz. Tetrachoritai, s.v.).

60- فسترابون يتحدّث في الكتاب VII عن المؤلّف[55] عينه، مؤلّف الفيلسوف الرواقي بوسيدونيدس، الذي كان يعرفه[56] (Athen. XIII، 75).

61- وفي تراقيا أيضاً نهر آريسب، كما كنت قد قلت سابقاً، وعلى مقربة منه يقطن الكيبرينيون التراقيون (Strabo XIII، I، 21).

62- ربّما تدعى ريبا في صيغة الجمع ريبي، إذا كان سترابون يقصد هذه الريبا عندما قال، إن ريبي ليست مسكونة. ويدعون هذه البلاد ريبيدا. ويقول سترابون في مكان آخر من غير أن يترك محلاً للشك، إن [المدن المذكورة في بيت شعر هوميروس]:

في ريبا، وستراتيوس كان الرجال يقطنون، وفي
إينسبا الصاخبة.

(الإلياذا II، 606)

العثور على هذه المدن ليس أمراً صعباً وحسب، بل إن التي عثر عليها منها، لا فائدة فيها، فهي خالية تماماً (Eustath. ad. Iliad II, 606).

63- وعلى حدّ قول الجغرافي، إن قبيلة الكافكونيين قد اندثرت تماماً. ويتابع الجغرافي قائلاً: في البيلوبونيز لم يطق الكافكونيون (فرع أركادي من القبيلة) سلطة سلالة ليبرييوس (لأن هذا الأخير كان شخصاً أحمق)، فنزحوا من هناك إلى ليكيا (Eustath. ad Iliad. II، 716).

64- [يروي بورفيريوس أن سكّان ميثونا الخاضعون لسلطة فيلوكتيتس كانوا يدعون فتيين]. لكنّ الجغرافي يقول، لم يدع سكّان ضواحي ميثونا وحدهم فتيين، بل، كما قيل سابقاً، دعيت بهذا الاسم القبائل التي كانت خاضعة لسلطة أخيلليس، وبروتيسلايوس، وفيلوكتيتس على وجه العموم (Eustath. ad Iliad. II،716).

65- ويقول الجغرافي نفسه، إن إيستر حمل في زمن ما اسم «ماتواس»، أي بالإغريقية «آسي»[57]. ومع أن السكيثيين عبروا إيستر مرات من غير أي منغصات، إلا أن رزءاً حلّ مرّة فبدلوا اسم النهر وبات يدعى الدابيس أو داوسيس، وكأن النهر كان مذنباً في الخطأ الذي ارتكبوه (Eustath. ad Dionys. peiag., 298).

66- ويقول الجغرافي أيضاً، إن عبادة هاديس كانت شائعة جدّاً هنا (Eustath. ad Dionys. peieg., 409).